منهج السلف سبيل النجاة

التوحيد

آداب حرية الرأي والتعبير

«أربعين سنة» .. تاهوا .. أم يتيهون؟



إسلامية - ثقافية - شهرية ■ تصدر عن جماعة أنصار السنة المحمدية ■ العدد ٤٧٤ - السنة الأربعون - جمادى الآخرة ١٤٣٢هـ الثمن ٢ جنيه

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهدم الأضرحة

بسم الله الرحمن الرحيم
فاعلم أنه لا إله إلا الله

صاحبة الامتياز
جماعة أنصار السنة المحمدية
السنة الأربعون
العدد ٤٧٤ جمادى الآخرة ١٤٣٢ هـ

ثمن النسخة
مصر ٢٠٠ قرشاً، السعودية ٦ ريالات، الإمارات ٦ دراهم، الكويت ٥٠٠ فلس، المغرب دولار أمريكي، الأردن ٥٠٠ فلس، قطر ٦ ريالات، عمان نصف ريال عماني، أمريكا ٢ دولار، أوروبا ٢ يورو

الاشتراك السنوي
١. في الداخل ٣٠ جنيها (بحوالة بريدية داخلية باسم مجلة التوحيد - على مكتب بريد عابدين).
٢. في الخارج ٢٥ دولارا أو ١٠٠ ريال سعودي أو ما يعادلهما.
ترسل القيمة بسويفت أو بحوالة بنكية أو شيك على بنك فيصل الإسلامي - فرع القاهرة - باسم مجلة التوحيد - أنصار السنة (حساب رقم / ١٩١٥٩٠).

"السلام عليكم"

مَنْ نختار؟

لما أراد الناس اختيار الصديق أبي بكر رضي الله عنه قالوا: رضيه رسول الله صلى الله عليه وسلم لديننا، فكيف لا نرضاه لدنيانا؟!!!

من هذه القاعدة العظيمة يمكن حل كثير من المشكلات المعقدة المستعصية، فلماذا لا يُتركْ لأهالي كل محافظة أن ينتقوا مَن يرأسهم ويسهر على مصالحهم، ومَن له معهم سابقة الخير والعطاء؟

ثم بعد ذلك تعقد الدولة مسابقات؛ تكريمًا لأحسن وأجمل محافظة وأفضل محافظ، ومن هنا يمكننا أن نستبشر أن من قاد محافظته بنجاح وسياسة حكيمة يكون مؤهلاً بعد ذلك لقيادة الدولة، وبذلك نكون قد استنبتنا أيضًا رئيس الدولة وعرفناه مبكرًا.

التحرير



المركز العام: هاتف: ٢٣٩١٥٥٧٦ - ٢٣٩١٥٤٥٦
WWW.ANSARALSONNA.COM

التحرير: ٨ شارع قولة - عابدين - القاهرة ت: ٢٣٩٣٦٥١٧ - فاكس: ٢٣٩٣٠٦٦٢
قسم التوزيع والاشتراكات: ت: ٢٣٩١٥٤٥٦ SEE2070@HOTMAIL.COM
WWW.ALTAWHED.COM



"في هذا العدد"





مطابع الأهرام التجارية - قليوب - مصر

افتتاحية العدد

العلماء والمحافظة على الثوابت

الحلقة الثانية

بقلم/ الرئيس العام

د/ عبدالله شاكر الجنيدي

www.sonna_banha.com

الحمد لله الكبير المتعال، والصلاة والسلام على المصطفى المختار، وعلى آله وصحبه، وبعدُ:

فقد تحدثت في اللقاء الماضي عن بعض الثوابت التي يجب على الأمة أن تعتني بها وأن تدافع عنها، وقد أشرت إلى أن الموضوع يحتاج إلى مزيد بسط وبيان، أذكره بحمد الله تعالى في هذا اللقاء:

٣- إحياء السنن والآثار:

يعيش بعض الناس اليوم في غربة عن السنة النبوية وبُعد عنها، وغاب عنهم أهميتها ومكانتها في دنياهم وأخراهم، بل تطاول البعض على السنة وزعم عدم حجيتها، مع أنها في غاية الأهمية في بنية الإسلام، وقد اتفق المسلمون قديمًا وحديثًا إلا من شذ من الفرق المنحرفة على أن سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم من قول أو عمل أو تقرير هي من مصادر التشريع الإسلامي الذي لا غنى عن الرجوع إليها في كل مسائل الدين، سواء كانت عقيدة أو عبادة، أو معاملات وسلوك وأخلاق، وقد أدرك الرعيل الأول ذلك وفهموه، فاجتهدوا في العناية بالسنة ونشرها والعمل بأحكامها، وكان الواحد منهم يرحل وينتقل من بلده إلى بلد آخر ليسمع حديثًا واحدًا من أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم.

وقد أخرج البخاري في الأدب المفرد وأحمد والطبراني والبيهقي – واللفظ له – عن جابر بن عبد الله – رضي الله عنهما – قال: بلغني حديث عن رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم لم أسمعه منه، فابتعت بعيرًا فشددت عليه رحلي، ثم سرت إليه شهرًا حتى قدمت الشام، فإذا هو عبد الله بن أنيس الأنصاري، فأتيته فقلت له: حديث بلغني عنك أنك سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم في المظالم لم أسمعه، فخشيت أن أموت أو تموت قبل أن أسمعه، فقال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم، يقول. وساق الحديث: «قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَوْ قَالَ الْعِبَادُ عُرَاةً غُرْلًا بُهْمًا قَالَ قُلْنَا وَمَا بُهْمًا قَالَ لَيْسَ مَعَهُمْ شَيْءٌ ثُمَّ يُنَادِيهِمْ بِصَوْتٍ يَسْمَعُهُ مِنْ قُرْبٍ أَنَا الْمَلِكُ أَنَا الدَّيَّانُ وَلَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ النَّارِ أَنْ يَدْخُلَ النَّارَ وَلَهُ عِنْدَ أَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَقٌّ حَتَّى أَقُصَّهُ مِنْهُ وَلَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ أَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ وَلِأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ النَّارِ عِنْدَهُ حَقٌّ حَتَّى أَقُصَّهُ مِنْهُ حَتَّى اللَّطْمَةُ قَالَ قُلْنَا كَيْفَ وَإِنَّا إِنَّمَا نَأْتِي اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ عُرَاةً غُرْلًا بُهْمًا قَالَ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ». (مسند أحمد ١٦٠٨٥ وقال الأرناؤوط: إسناده حسن).

فانظر إلى هذه الهمة العالية التي دفعته ليسافر شهرًا ليسمع حديثًا واحدًا للنبي صلى الله عليه وسلم، وما ذاك إلا حرص على الحديث وسماعه، ونشره وذيوعه، كما حرص التابعون على أخذ الحديث من صدور الصحابة واستمر ذلك إلى أن دُونت السنن والآثار، وأصبحت ميسورة بين يدي الأمة، والواجب اليوم نشرها وإذاعتها، والعمل بها، وحث الناس على ذلك، وقد وردت كلمات عن أئمتنا - رحمهم الله - تبين ذلك وتحث عليه، ومن ذلك ما قاله عمر بن عبد العزيز - رضي الله عنه -: «سن رسول الله صلى الله عليه وسلم وولاة الأمر بعده سننًا: الأخذ بها تصديق لكتاب الله عز وجل واستكمال لطاعته، وقوة على دين الله، ليس لأحد من الخلق تغييرها ولا تبديلها، ولا النظر في شيء خالفها، من اهتدى بها فهو مهتد، ومن استنصر بها فهو منصور، ومن تركها اتبع غير سبيل المؤمنين وولاه الله ما تولى، وأصلاه جهنم وساءت مصيرًا». رواه الآجري في الشريعة (٤٠٨/١)، وإسناده صحيح.

وعليه فالواجب على جميع المسلمين أن يتعلموا السنن ويعملوا بها ويبذلوا الغالي والنفيس في إذاعتها ونشرها، وهذا فرض على علماء الأمة ورجالاتها؛ لأن الدين لا يقوم إلا بها.

قال الإمام البربهاري - رحمه الله -: «اعلموا أن الإسلام هو السنة، والسنة هي الإسلام، ولا يقوم أحدهما إلا بالآخر». (شرح السنة: ٥٩).

٤- إماتة البدعة:

من الأصول المقررة عند أهل السنة والجماعة أن كل بدعة ضلالة، وهذا الأصل هو مقتضى قول النبي صلى الله عليه وسلم، كما في حديث العرباض بن سارية: «فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة». (أخرجه أبو داود وغيره بسند صحيح).

وعن أم المؤمنين - رضي الله عنها - أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد». (مسلم: ١٧١٨).

والبدع كلها ضلال، وفي العمل بها اتهام للدين بالنقصان وعدم الكمال، وهذا - والعياذ بالله - في غاية الفساد، وقد حذر النبي صلى الله عليه وسلم في أحاديث كثيرة من الابتداع في الدين، كما وردت آثار كثيرة عن سلف الأمة الصالحين فيها حث على اتباع السنة، وتحذير من البدع وبيان خطورتها، وهذا طرف منها: قال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: «كل بدعة ضلالة، وإن رآها الناس حسنة».

وكتب رجل إلى عمر بن عبد العزيز يسأله عن القدر، فكتب له هذه الوصية العظيمة ونصها: «أما بعد: أوصيك بتقوى الله، والاقتصاد في أمره، واتباع سنة نبيه صلى الله عليه وسلم، وترك ما أحدث المحدثون بعدما جرت به سنته، وكفوا مؤنته، فعليك بلزوم السنة، فإنها لك - بإذن الله- عصمة». رواه أبو داود (٤٦١٢).

وقال الإمام مالك - رحمه الله -: «من ابتدع في الإسلام بدعة يراها حسنة فقد زعم أن محمدًا صلى الله عليه وسلم خان الرسالة؛ لأن الله يقول: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا﴾». (الاعتصام للشاطبي: ج٢٨/١).

وقال الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله: «أصول السنة عندنا: التمسك بما كان عليه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، والاقتداء بهم، وترك البدع، وكل بدعة ضلالة، وترك الخصومات والجلوس مع أصحاب الأهواء، وترك المراء والجدل والخصومات في الدين، والسنة عندنا آثار رسول الله صلى الله عليه وسلم، والسنة تفسر القرآن وهي دلائل القرآن، وليس في السنة قياس ولا تُضرب لها الأمثال ولا تُدرك بالعقول ولا الأهواء، إنما هي الاتباع وترك الهوى». (شرح اعتقاد أهل السنة ج١٦/١).

وبناءً على هذه الأقوال فيجب على كل مسلم ترك البدع والدعوة إلى إماتتها، وتحذير الناس منها؛ لأنها تصد عن السنة والطريق القويم، ويكفي في اجتنابها وأهمية البعد عنها الخبر الصادق: بأن كل بدعة ضلالة، وللإمام محمد بن الحسن الآجري - رحمه الله - كلامًا نفيسًا في أهمية التمسك بالسنة وترك ما خالفها، جاء فيه: «علامة من أراد الله به خيرًا سلوك هذا الطريق: كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وسنة أصحابه رضي الله عنهم، ومن تبعهم بإحسان، وما كان عليه أئمة المسلمين في كل بلد، إلى آخر ما كان من العلماء، مثل: الأوزاعي، وسفيان الثوري، ومالك بن

أنس، والشافعي، وأحمد ابن حنبل، والقاسم بن سلام، ومن كان على مثل طريقتهم، ومجانبة كل مذهب يَذُمُّه هؤلاء العلماء». (الشريعة للآجري ج١/٣٠١).

وأختم هذه الفقرة بهذا الحديث الدال على شناعة البدعة وأثرها على صاحبها، فقد أخرج الطبراني في الأوسط والهروي في ذم الكلام، والبيهقي في شعب الإيمان وغيرهم عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الله احتجز التوبة عن صاحب كل بدعة». (وإسناده صحيح، السلسلة الصحيحة للألباني ج٤/١٥٤).

٥- موالاة المؤمنين ومعاداة الكافرين:

من مسلمات الاعتقاد في منهج أهل السنة والجماعة موالاة أهل الإيمان، ومعاداة أهل الكفر والطغيان، وهو ما يُعرف بالولاء والبراء، والواجب على المسلم موالاة أخيه في الإسلام، فيحبه وينصره، ويقف إلى جواره، ويبغض ويتبرأ من الكفر والشرك ومن تلبس بهما، وقد اعتنى الشرع الحكيم بهذه المسألة عناية كبيرة، وجاءت النصوص الكثيرة المبينة والداعية لهذه العقيدة، ومنها قول الله تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ (التوبة:٧١)، وقال تعالى في عدم مودتهم: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ (المجادلة:٢٢)، والآية تشير إلى ضرورة مباينة الكفار حتى ولو كانوا آباءً وأبناء، وأن الأهل والأقارب تنقطع بينهم وبين المسلم الأخوة الإيمانية، ويصرح القرآن في مواطن بذلك منها قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ (التوبة:٢٣)، ومعنى الآية: تحريم موالاة الكفار ولو كانوا أقرباء، وأن ذلك كبيرة عظيمة؛ لأن الله وصف متوليهم بالظلم، قال القرطبي – رحمه الله – في معنى الآية: «ظاهر هذه الآية أنها خطاب لجميع المؤمنين كافة، وهي باقية الحكم إلى يوم القيامة في قطع الولاية بين المؤمنين والكافرين». وخص الله سبحانه الآباء والإخوة؛ إذ لا قرابة أقرب منها». (تفسير القرطبي ج٤/٢٩٣٢).

ومما أرى التنويه به هنا: أن الولاء شيء والمعاملة بالحسنى شيء آخر، فالله تعالى مع أمره ببغض الكافرين أمر بالإحسان إلى من لم يقاتل المسلمين، وهذا الأصل دل عليه قول الله تعالى: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ (الممتحنة:٨). وأولى الأقوال بالصواب كما ذكر الحافظ ابن حجر: أن الله لا ينهى المؤمن عن البر والصلة والقسط مع جميع أصناف الملل والأديان المسالمين، وقد روى البخاري وغيره عن أسماء بنت أبي بكر – رضي الله عنها – قالت: «قدمت عليَّ أمي وهي مشركة في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستفتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم، قلت: إن أمي قدمت وهي راغبة، أفأصل أمي؟ قال: نعم، صلي أمك». (البخاري: ٢٦٢٠).

قال الخطابي: «فيه أن الرَّحم الكافرة توصل من المال ونحوه كما توصل المسلمة، ويُستنبط منه وجوب نفقة الأب الكافر والأم الكافرة، وإن كان الولد مسلمًا». وقال ابن حجر: «البر والصلة والإحسان لا يستلزم التحابب والتواد المنهي عنه في قوله تعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ (فتح الباري: ج٥/٢٣٣).

ومن هنا يتضح أن الموالاة الممثلة في الحب والنصرة شيء، والصلة والإحسان إلى جميع الخلق شيء آخر، وسماحة الإسلام وصفحاته المشرقة في معاملة الأسرى والشيوخ والنساء والأطفال في الحرب دليلٌ واضح على ذلك، ولابن تيمية رحمه الله كلام سديد في هذه المسألة يقول فيه: «وليعلم أن المؤمن تجب موالاته، وإن ظلمك، والكافر تجب معاداته وإن أعطاك وأحسن إليك، فإن الله سبحانه بعث الرسل وأنزل الكتب ليكون الدين كله لله، فيكون الحب لأوليائه والبغض لأعدائه، والإكرام لأوليائه، وإذا اجتمع في الرجل الواحد خير وشر، وفجور وطاعة ومعصية، وسنة وبدعة: استحق من الموالاة والثواب بقدر ما فيه من الخير، واستحق من المعاداة والعقاب بحسب ما فيه من الشر». (مجموع الفتاوى: ج٢٨/٢٠٩).

أسأل الله تعالى أن يثبتنا على الحق، وأن يجعلنا هداة مهتدين، وأن يرفع راية الإسلام ويعز المسلمين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.



رحمة بمصر وأهلها.. من أصحاب الأهواء !!

بقلم
رئيس التحرير
جمال سعد حاتم
GSHATEM@HOTMAIL.COM

الحمد لله يعلم مكنونات الصدور ومخفيات الضمائر، أحمده سبحانه وأشكره على ما أولى من وافر النعم والفضل المتكاثر وبعد:

إن التعاطي مع الأحداث وأخذ العبر ودروس الاعتبار يكون ذلك كله بالعقل الحصيف، والهدوء الحذر، وفي ظل الأحداث المتسارعة والتقلبات المتتابعة تكون الحكمة ضالة المؤمن، فليس التزلُّف حاميًا للدُّوَل، ولا التذمر مصلحًا للأمم والنقد وحده لا يقدم مشروعًا، وردود الأفعال لا تبني رؤية راشدة.

وبلادنا في هذه الأيام تعمها حالة من الفوضى والاضطراب والفتن، بعد أن فقد الأمن وروع المجرمون من الخارجين على القانون الناس في كل مكان ليلاً ونهارًا، أحداث متقاربة، وفتن متلاحقة، وهرج ومرج، هول وفزع، خلخة للأمن، وبث للرعب والخوف والهلع بين الناس ولا تدري إلى أين تتجه الأمور في ظل تواجد أمني مازال هزيلاً بقصد وبغير قصد، فنحن نسمع في اليوم الواحد عن عشرات الحوادث التي تقع في شوارعنا، وفي بلداننا من حوادث يندى لها الجبين، وانفلات أمني مخيف مع الجهود الجبارة التي يبذلها رجال القوات المسلحة لمحاولة السيطرة على مقاليد الأمور مما يحتم على الجميع التكاتف وسرعة اتخاذ القرارات لعودة رجال الأمن للسيطرة الكاملة على مجريات الأمور رحمة بمصر وشعبها لوأد الفتن وانطلاق البلاد إلى رحاب أوسع من الأمن والأمان في كل مناحي الحياة!!

كيف نغير أنفسنا ؟!!

إن الذى نستطيع أن نجزم به ونحن على يقين منه أن هذه الأمور هى بقدر الله سبحانه وعلمه، وهو الذى يسيرها سبحانه ويعلم مجراها ومرساها، وهو الذى بيده جل شأنه تصريف الأمور وتقديرها والإحاطة بها، ﴿يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشىء من علمه إلا بما شاء﴾ وهو وحده القادر على كشف الضر ورفع البلوى، كما هو القادر على بقائه واستمراره، ﴿وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يمسسك بخير فهو على كل شىء قدير وهو القاهر فوق عباده وهو الحكيم الخبير﴾ (سورة الأنعام: الآيات ١٧ ، ١٨).

ولا أحد يستطيع العلم والإحاطة بما ستنتج عنه هذه الأحداث إلا الله سبحانه وتعالى، ﴿وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو ويعلم ما فى البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة فى ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا فى كتاب مبين﴾ (سورة الأنعام: الآية ٥٩).

سنن الله لا تتغير ولا تتبدل

إن لله تعالى سننًا لا تتغير وقوانين لا تتبدل كما قال سبحانه: ﴿سنة الله فى الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا﴾ (سورة الأحزاب: الآية ٦٢). وقال: ﴿سنة الله التى قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا﴾. (سورة الفتح: الآية ٢٣). وقال: ﴿فهل ينظرون إلى سنة الأولين فلن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا﴾ (سورة فاطر: الآية ٤٣).

ومن هذه السنن التي سنها الله تعالي ليسير عليها الكون وتنتظم عليها أسس البنيان ارتباط تغيير الله، لما حولنا بتغيير أنفسنا، وإصلاح الله لما حولنا بإصلاح أنفسنا، وتمكين الله لنا في الأرض لن يكون إلا إذا غيرنا أنفسنا، وكذلك إذا أنعم علي قوم بالأمن والعزة والرزق والتمكين في الأرض، فإنه سبحانه وتعالي لا يزيل نعمه عنهم ولايسلبهم إياها إلا إذا بدلوا أحوالهم وكفروا بأنعم الله، ونقضوا عهده، وارتكبوا ما حرم عليهم، وهذا عهد الله، ومن أوفي بعهده من الله؟!! فإذا فعلوا ذلك لم يكن لهم عند الله عهد ولا ميثاق فجرت عليهم سنة الله التي لا تتغير ولا تتبدل، فإذا بالأمن يتحول إلى خوف، والغني يتبدل إلى فقر، والعزة تؤول إلى ذلة، والتمكين إلي هوان، كما قال تعالي: ﴿ذلك بأن الله لم يكن مغيرا نعمة أنعمها على قوم حتي يغيروا ما بأنفسهم وأن الله سميع عليم﴾ الأنفال: آية ٥٣، وقال أيضا: ﴿إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وإذا أراد الله بقوم سوءا فلا مرد له ومالهم من دونه من والٍ﴾ الرعد: آية ١١.

وعندما نصلح أنفسنا ونغيرها إلى الأفضل والأحسن ونحسن باطننا وظاهرنا، ونتقرب إلى المولي القدير، ونطيعه فيما أمرنا، ونبتعد عما نهانا عنه، فإنه يكرمنا بفضله وكرمه قال تعالي: ﴿ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه إن الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شىء قدرا﴾ الطلاق: آية ٢، ٣. ﴿ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون﴾ الأعراف: آية ٩٦.

ضوابط الحرية في الإسلام

وإذا كنا نناشد من فقدوا عقولهم ، ونسوا ضمائرهم، فراحوا ينشرون في الأرض الفساد من الذين تربوا علي موائد المفسدين يستعلمونهم وقت حاجتهم إليهم، وفجأة وجدوا أن قادتهم أصبحوا وراء القضبان تمهيدا للنيل منهم على ما اقترفوه في حق هذا الشعب الذي تحمل مالا يطيق على مدى عشرات السنين، فحدث لهم ما حدث، وأخذوا يعيسون في الأرض فسادا في ظل حالة من الانهيار جعلتهم يرتكبون الجرائم ويروعون الناس، في كل مكان في ظل غياب أمني، وهياج وفوضى مستغلين ما يحدث في البلاد، مدعين ومتمسحين في حرية زائفة صنعوها لأنفسهم، ونسوا أنه في غيبة القانون وغيبة الأمن يظل القانون الإلهى ماثلا أمام الجميع، والجميع مطالب بالضرب بيد من حديد على يد كل من سولت له نفسه إحداث الفتن والهلع والزعر، وتدمير اقتصديات البلاد، مرددين كلمات جوفاء عن الحرية المدمرة!!

والحرية في الإسلام مطلب لا يختلف عليه اثنان، إلا أن تلك الحرية لا تؤتي ثمارها الحقيقية إلا في ظلال الممارسة الصحيحة لها بما لا يتعارض مع الدين أو الأخلاق، أو قوانين الدولة، أو حقوق الآخرين وحرياتهم، فحرية الرأي ليست معناها الكراهية لكل ما يمت للإسلام بصلة، فمن يمتلكون أداة إعلامية سواء كانت مقروءة أو مسموعة أو مشاهدة، مستغلين المناخ الذي أفرزته الأحداث الأخيرة فاعتقدوا واهمين أنهم يمارسون حقوقهم في حرية الكيل للإسلام والمسلمين بجهل وبعلم، بحقد وبغباء فراحوا تارة يروعون الناس من فزاعة السلفية وخطرها القادم، وتارة أخرى للطعن في ثوابت الدين ومسلمات الشريعة، وليس للكاتب أو الأديب أن يفهم الحرية بأن يقول ما يريد، فالحرية ينبغى أن تمارس لكن في إطار النظام العام وميزان الشريعة.

ولا تعني الحرية التعدي على ثوابت الدين ومسلمات الشريعة، قال تعالي: ﴿ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدي من الله إن الله لا يهدي القوم الظالمين﴾ القصص: آية ٥٠.

ولا يعني بطبيعة الحال إقرار الإسلام للحرية أنه أطلقها من كل قيد وضابط، لأن الحرية بهذا الشكل أقرب ما تكون إلى الفوضى التي يتحكم فيها الهوى والشهوة، ومن المعلوم أن الهوي يدمر الإنسان أكثر مما يبنيه!!

منع المنتقبات من دخول الامتحانات

أكدت المحكمة الإدارية العليا فى حيثيات حكمها والخاص بحظر دخول المنتقبات الامتحانات بالجامعات!! مؤكدة على أنه إذا كان ارتداء النقاب بالنسبة للمرأة المسلمة هو أحد مظاهر الحرية الشخصية فإن هذه الحرية لا يتعارض معها التزام المرأة بدائرة بذاتها بالقيود التي تضعها جهة الإدارة لاعتبارات أمنية أو تعليمية، أو لغير ذلك من الاعتبارات التي تقضي التحقق من شخصية من ترتدي النقاب.

وأضافت المحكمة إن هذا القرار يسانده شرعًا ما انتهى إليه فضيلة مفتى الجمهورية من أن ارتداء النقاب للمرأة المسلمة هو من قبيل العادات عند جمهور الفقهاء بناءً على أن وجه المرأة ليس بعورة.

واستكملت المحكمة أن شرعية حظر ارتداء النقاب داخل قاعات الامتحانات لا تتعارض مع نص المادة الثانية من الإعلان الدستورى التى تنص على أن الإسلام دين الدولة كما أنه من المستقر عليه فى قضاء المحكمة الدستورية العليا، أن لولى الأمر فى المسائل الخلافية حق الاجتهاد بما ييسر على الناس شئونهم، وبما لا يعطل المقاصد الكلية لشريعتهم.

ونقول: معلومٌ أن الحجاب وتغطية الوجه ليس من قبيل العادات كما زعموا بل هو أمر شرعه الله عز وجل والخلاف الوارد بين أهل العلم يدور فقط حول استحبابه وفرضيته ولم يقل أحدٌ على الإطلاق أنه عادة أو ليس من الشريعة وقد تضافرت الأدلة من القرآن والسنة على مشروعية الحجاب.

حرق المصحف صورة من الحقد على الإسلام والمسلمين!!

إنها الحرية عندما يتشدقون بها فيسولوا لأنفسهم العبث فى كل شئ، والقرآن الكريم هو الكتاب المشتمل على التشريعات الحكيمة فى العبادات التى بين العبد وربه، وفى المعاملات والعلاقات التى تكون بين الناس، من الأحكام السياسية والاجتماعية والاقتصادية والأسرية وغيرها، ولهذا اتخذه المسلمون منذ بعثة ﷺ مع السُنَّة - التى هى شرح للقرآن تدينهم وبنوا عليهما نظم حياتهم.

وأن أهم ما يجب من تعظيمه العمل به وتحكيمه، ومن وجوه تعظيمه أن المصحف الذى فيه القرآن - يجب احترامه فلا يَمَسَّهُ إلاَّ طاهر، ويجب أن يصان عن الامتهان، فمن يتعمد من المسلمين إمتهان القرآن - ويقصد ذلك كما يفعل بعض السحرة تقربًا إلى الشياطين - يكون كافرًا مرتدًا عن الإسلام.

ومحافظة على حرمة القرآن الكريم جاء النهى من النبى ﷺ عن السفر بالقرآن إلى أرض العدو، فإن الكافر المحارب للمسلمين لا يؤمن على القرآن أن يمتهنه إمعانًا فى عدائه للإسلام والمسلمين، كأن يحرقه أو يلطخه بالنجاسة.

ومن الشواهد على موقف العدو الكافر من القرآن - وهو الموجب لنهى النبى ﷺ عن السفر بالقرآن إلى أرض العدو، ما نشر بالأمس القريب من خبر حرق القس الأمريكى «تيرى جونز» لنسخة من القرآن بعد القيام بتمثيلية محاكمة القرآن، وتضمنت المحاكمة قاضيًا وهو القس، ومدعيًا وشهودًا، وهذا العمل إعلان لعداوتهم للإسلام والمسلمين، فإن القرآن أعظم ما يعتز به المسلمون ويعظمونه ويرفضون كل ما يمت إلى امتهانه والطعن فيه، ويغضبون لذلك أشد من غضبهم إذا اعتدى على أشخاصهم، إنها الحرية!!

نسأل الله أن يصلح أحوال المسلمين، وأن ينصرهم على عدوهم، وأن يخزى هذا القس الكافر المعتدى ومن أعانه أو أيده على فعلته والله مخزى الكافرين ﴿يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلاّ أن يُتم نوره ولو كره الكافرون هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون﴾.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين!!

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهدم الأضرحة



الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم النبيين وإمام المرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد..

فإن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر شعيرة عظيمة من شعائر هذا الدين، قال الله تعالى: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٠٤) وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١٠٥) يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ (١٠٦) وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (١٠٧) تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعَالَمِينَ (١٠٨) وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ (آل عمران: ١٠٤-١٠٩).

إعداد: د/ عبدالعظيم بدوي

نائب الرئيس العام

قال الرازيّ - عفا الله عنه-: اعلم أنَّهُ تعالى - في الآيات المتقدمة على هذه الآيات - عابَ أهلَ الكتاب على شيئيْن: أحدهما: أنَّهُ عابهم على الكفر، فقال تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ﴾ (آل عمران: ٩٨)؟ ثُمَّ بعدَ ذلك عابَهم على سعيهم في إلقاء الغير في الكفر، فقال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ (آل عمران: ٩٩)؟ فلمَّا انتقلَ منه إلى مخاطبة المؤمنين أمرَهم أولاً بالتَّقوى والإيمان، فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (١٠٢) وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ (آل عمران: ١٠٢-١٠٣)، ثُمَّ أمرَهم بالسَّعي في إلقاء الغير في الإيمان والطَّاعة، ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ﴾ (مفاتيح الغيب ٨/ ١٨١)؛ لأنَّهُ لا يكفي أنْ يكونَ العبدُ مؤمنًا في نفسه حتى يدعو غيْرَهُ إلى الإيمان، ولا يكفي أنْ يكونَ صالحًا حتى يسعى في إصلاح غيره، ولا يكفي أنْ يكونَ مهتديًا حتى يسعى في هداية غيره، ولذلك قال الله تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ (١) إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ (٢) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ (سورة العصر)، فإذا دعا المؤمنُ الكافرَ إلى الإيمان، والفاسقَ إلى ترك الفسوقِ والعصيانِ، فَقَبِلَ منه، فذلك فضلُ

الرحمن، وإنْ لم يُقْبَلْ منه فقد برأَ ذمتَهُ، ولا يضرُّهُ كفرُ الكافر، ولا فسقُ الفاسق، كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ (المائدة: ١٠٥)، يعني إذا أمرتُم بالمعروف، ونهيتُم عن المنكر، فلم يُقْبَلْ منكم، فلا يضرُّكم ضلالُ الضَّالينَ، ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ (الأنعام: ١٦٤).

حكم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

وفي قوله تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ﴾ قولان:

أحدهما: أنَّ ﴿مِنْ﴾ للتَّبْيِّين لا للتبعيض، كقوله تعالى:

﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ﴾ (الحج: ٢٠)، وقول الرجل لابْنه: أريدُ منك رجلاً. ومعنى الآية: كونوا أمةً دعاةً إلى الخير، آمرين بالمعروف، ناهين عن المنكر، ويدلُّ على ذلك دليلان:

الأولُ: أنَّ اللهَ تعالى أوجبَ الأمرَ بالمعروف والنَّهيَ عن المنكر على كلِّ الأمة في قوله: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ (آل عمران: ١١٠).

والثَّاني: هو أَنَّهُ لا مكلفَ إلاَّ ويجبُ عليه الأمرُ بالمعروف والنَّهي عن المنكر، إمَّا بيده، أو بلسانه، أو بقلبه. ويجبُ على كلِّ أحد دفعُ الضرر عن النَّفس.

والقولُ الثَّاني: أنَّ ﴿مِنْ﴾ للتبعيض؛ لأنَّ في القوم من لا يقدرُ على الدَّعوة، ولا على الأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر، كالمرضى والعاجزين، وعليه فإنَّ هذا التَّكليفَ مختصٌّ بالعلماء، ويدلُّ عليه وجهان:

الأولُ: أنَّ هذه الآيةَ مشتملةٌ على الأمر بثلاثة أشياء: الدعوةُ إلى الخير، والأمرُ بالمعروف، والنَّهيُ عن المنكر، ومعلومٌ أنَّ الدَّعوةَ إلى الخير مشروطةٌ بالعلم بالخير وبالمعروف وبالمنكر، فإنَّ الجاهلَ ربَّما دعا إلى الباطل، وأمرَ بالمنكر، ونهى عن المعروف، وقد يُغْلظُ في موضع اللين، ويَلينُ في موضع الغلظة، وينكرُ على من لا يزيدهُ إنكارُه إلاَّ تماديًا، فثبتَ أنَّ هذا التَّكليفَ متوجهٌ إلى العلماء، ولا شكَّ أنَّهم بعضُ الأمة، ونظيرُ هذا في قوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ﴾ (التوبة: ١٢٢).

الثَّاني: أنَّا جمعنا على أنَّ ذلك واجبٌ على سبيل الكفاية، بمعنى أنَّهُ متى قامَ به البعضُ سقطَ عن الباقين، وإذا كان كذلك كان المعنى ليقمْ بذلك بعضُكم، فكان في الحقيقة إيجابًا على البعض لا على الكل. (مفاتيح الغيب ٨/ ١٨٢).

وقد جمعَ ابْنُ كثير – رحمه الله- بيْنَ القولين بأنَّ الدَّعوةَ فرضٌ واجبٌ على كلِّ مسلم بحسبِ استطاعته، كما في الحديث: «مَنْ رَأى مِنْكُمْ مُنْكرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بيَدِه، فَإنْ لَمْ يَسْتطِعْ فَبِلسَانه، فَإنْ لَمْ يَسْتطِعْ فَبقَلْبِه وَذَلِكَ أَضْعَفُ الإيمَانِ» (مسلم ٤٩)، وأنَّ على الأمة أنْ تُخَصِّصَ طائفةً منها للقيام بهذا الواجب، فإنَّ الدَّعوةَ إلى الخير تتفاوت، فمنها ما هو بيِّنٌ يقومُ به كلُّ مسلم، وذلك كالدَّعوة إلى إقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت، وترك الزنى والرِّبا والخمر، ونحو ذلك، ومنها ما يحتاجُ إلى علم، فهذا الذي تقومُ به الطائفةُ الخاصة، وهو ما يسمى بفرضِ الكفاية، فالأمَّة كلُّها مكلفة بأن يكون فيها علماءُ متخصِّصُون متفرِّغون للدَّعوة في الداخل والخارج، يأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر، ويحوطهم السلطانُ بقوَّة تحميهم وتساندهم، وتعاونهم على تغيير المنكر باليد في الشوارع والطرقات، فمنهجُ الله في الأرض ليس مجرَّدَ وعظ وإرشاد وبيان فهذا شَطْرٌ، أمَّا الشَّطْرُ الآخر فهو القيامُ بسلطةِ الأمرِ والنَّهْي على تحقيق المعروف ونفي المنكر من الحياة البشرية، وصيانة تقاليد الجماعة الخيِّرة أنْ يعبث بها كلُّ ذي هوى، وكلُّ ذي شهوة، وكلُّ ذي مصلحة، وحماية هذه التقاليد الصالحة من أن يقولَ فيها كلُّ امرئ برأيه وبتصوُّره زاعمًا أنَّ هذا هو الخير والمعروف والصواب. (الظلال ٢/ ٢٨).

الدعوة إلى إحياء وظيفة الحسبة:

وهذه هي وظيفة الحسبة، التي عمل بها المسلمون قرونًا كثيرة، ثم أُهملت فانتشر الفساد في الأرض، ونحن نرجو الله أن يوفق من سيتولى أمر هذه البلاد إلى إحياء هذه الوظيفة، حتى تصبغ الحياة كلها بالصبغة الإسلامية، فتنتشر الفضيلة، وتختفي الرذيلة، وتملأ الأرض قسطًا وعدلاً كما مُلئت ظلمًا وجورًا.

شروط المحتسب:

ويشترط في الأفراد الذين يعينون لهذه الوظيفة شروط:

العلم بالمعروف والمنكر:

أنْ يكونَ كلٌّ منهم عالمًا بالمعروف، فإنْ لم يكنْ عالمًا فإنَّهُ لا يجوزُ أنْ يأمرَ به؛ لأنَّهُ قد يأمرُ بما يظنُّهُ معروفًا وهو منكرٌ ولا يدري، ولا بدَّ أنْ يكونَ عالمًا بالمنكر، فإنْ لم يكنْ عالمًا به فلا ينهَ عنه؛ لأنَّهُ قد ينهى عن شيْء هو معروفٌ، أو ينهى عن شيْء يظنُّهُ منكرًا وهو مباحٌ، فيضيِّقُ على عباد الله ما وسَّعَ اللهُ عليهم.

ولذلك قال معاذُ بْنُ جبل: العلمُ إمامٌ والعملُ تابعه. وقال عمرُ بْنُ عبد العزيز: من عبدَ اللهَ بغير علم كان ما يفسدُ أكثرُ ممَّا يصلحُ. وترجمَ البخاريُّ في صحيحه بذلك فقالَ: (بَابُ الْعِلْمِ قَبْلَ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ) قال ابْنُ المنذر: أرادَ به أنَّ العلمَ شرطٌ في

صحة القول والعمل، فلا يعتبران إلاّ به. فهو متقدمٌ عليهما لأنّهُ مصحّحٌ للنّية المصححة للعمل (فتح الباري ١/ ١٥٩ - ١٦٠)، وهذا ظاهرٌ، فإنّ القصدَ والعملَ إنْ لم يكن بعلم كان جهلاً وضلالاً واتباعًا للهوى، وهذا هو الفرقُ بيْنَ أهل الجاهلية وأهل الإسلام. فلا بدَّ من العلم بالمعروف والمنكر والتّمييز بيْنَهما.

العلم بحال الناس قبل الأمر والنهي:

ولا بدَّ من العلم بحال المأمور والمنهي، فلا يأخذُ النّاسَ بالتُّهم والظنون، فيبادرُ بأمرهم بمعروف يظنُّهم تاركيه وهم له فاعلون، أو يبادرُ بنهيهم عن منكر يظنهم فاعليه وهم له تاركون، ولذلك كان النّبيُّ صلى الله عليه وسلم يستفهمُ أولاً قبلَ أنْ يأمرَ:

عَنْ جَابِر بْن عَبْد الله رضي الله عنه قَالَ: بَيْنَا النَّبيُّ صلى الله عليه وسَلم يَخْطُبُ يَوْمَ الْجُمُعَة إذْ جَاءَ رَجُلٌ فَقَالَ لَهُ النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم: «أَصَلَّيْتَ يَا فُلَانُ؟ قَالَ: لاَ، قَالَ: قُمْ فَارْكَعْ رَكْعَتَيْنِ» (متفق عليه)، فلم يأمرهُ بالصلاة حتى سألَهُ وعرفَ منه أنّهُ لم يصل.

ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مخافة الفتنة والمفسدة:

ويشترطُ أنْ تكونَ مصلحةُ الأمرِ والنّهي راجحةً على المفسدة؛ إذ بهذا بُعثت الرسلُ، ونزلت الكتبُ، ﴿وَاللَّهُ لاَ يُحِبُّ الْفَسَادَ﴾ (البقرة: ٢٠٥)، بل كلُّ ما أمرَ به فهو صلاح، وقد أثنى على الصّلاح والمصلحينَ، والذين آمنوا وعملوا الصالحات، وذمَّ المفسدينَ في غير موضع، وقد كان صلى الله عليه وسلم يحبُّ توسعةَ الكعبة، ثُمَّ تركَ ذلك لما يخشاه من المفسدة، كما في الصحيح: عَنْ عَائشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: سَمعْتُ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: «لَوْلاَ أَنَّ قَوْمَك حَديثُو عَهْد بجَاهليَّة، أَوْ قَالَ بكُفْر، لأَنْفَقْتُ كَنْزَ الْكَعْبَة في سَبيل الله، وَلَجَعَلْتُ بَابَهَا بالأَرْض وَلأَدْخَلْتُ فيهَا منَ الْحجْر» (متفق عليه).

فحيثُ كانتْ مفسدةُ الأمرِ والنّهي أعظمَ من مصلحته لم تكن ممَّا أمرَ اللهُ به، وإنْ كان قد تُركَ واجبٌ وفُعلَ محرم؛ إذ المؤمنُ عليه أنْ يتقي اللهَ في عباده وليس عليه هداهم، وهذا معنى قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لاَ يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ (المائدة: ١٠٥)، والاهتداءُ إنّما يتمُّ بأداء الواجبات، فإذا قام المسلمُ بما يجبُ عليه من الأمرِ بالمعروف والنّهي عن المنكر، كما قامَ بغيره من الواجبات، لم يضرَّهُ ضلالُ من ضل.

غلط المخالفين لهذه القاعدة:

وهنا يغلطُ فريقان من النّاس: فريقٌ يتركُ ما يجبُ من الأمرِ والنّهي، تأويلاً لهذه الآية، وقد بيَّنّا الصوابَ منها. والفريقُ الثّاني: منْ يريدُ أنْ يأمرَ وينهى إمَّا بلسانه أو بيده مطلقًا من غير فقه وحلم وصبر ونظر فيما يَصْلُحُ من ذلك وما لا يصلح، وما يقدرُ عليه وما لا يقدرُ، فيأتي بالأمرِ والنّهي معتقدًا أنّهُ مطيعٌ في ذلك لله ورسوله، وهو معتدٍ في حدوده، كما انتصبَ كثيرٌ من أهل البدع والأهواء، كالخوارج والمعتزلة والرافضة وغيرهم ممّن غلطَ فيما أتاه من الأمرِ والنّهي والجهاد على ذلك، وكان فسادُهُ أعظمَ من صلاحه.

وقد تناقلت وسائل الإعلام أوائل الشهر الماضي نبأ قيام بعض الشباب بهدم الأضرحة والمقامات، ونسبت ذلك إلى السلفية والسلفيين قبل أن يتم أي تحقيق، ونحن نقول: إن المتهم بريء حتى تثبت إدانته، وغير مُسْتَبعَد أن يقوم بهذا العمل مفسدون في الأرض، لا يريدون الخير للبلاد، ويريدون تشويه صورة السلفيين تنفيرًا للناس منهم، كما أننا لا ننكر أن يقوم بعض الشباب المتحمسين الغيورين بهذا العمل لقلة فقههم، وبُعدهم عن الراسخين في العلم، الذين يقدرون الأشياء حق قدرها، وينظرون في عواقب الأمور، ويوازنون بين المصالح والمفاسد، وفق هذه القاعدة التي بيناها، ولهؤلاء الشباب نقول: يا أبناءنا - وفقكم الله - لا تستعجلوا، ولا تقدموا على شيء حتى ترجعوا إلى العلماء الربانيين، وتعلّموا الأصول، فإن من لم يتعلم الأصول حُرمَ الوصول، وابدءوا بما بدأ الله به ﴿وَلْتَكُنْ منْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إلَى الْخَيْر وَيَأْمُرُونَ بالْمَعْرُوف وَيَنْهَوْنَ عَن الْمُنْكَر﴾ فالدعوة أولاً، ثم الأمر والنهي وفق الأصول والقواعد التي بيناها، فادعوا إلى الخير، وفقهوا الناس في الدين، وعلموهم الأصول المتفق عليها، واتركوا المختلف فيه الآن، حتى يدخل الناس في دين الله أفواجًا.

الرفق واللين:

ولا بدَّ للدّاعية أَنْ يكونَ هينًا لينًا، رفيقًا رقيقًا، «فَمَا كَانَ الرِّفْقُ في شَيْء قَطُّ إلاَّ زَانَهُ، وَلاَ نُزعَ منْ شَيْء إلاَّ شَانَهُ» (متفق عليه)، وقد بعثَ اللهُ موسى وهارونَ إلى فرعونَ فقال لهما: ﴿فَقُولاَ لَهُ قَوْلاً لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾ (طه: ٤٤)، فإذا كان موسى أُمرَ أنْ يقولَ لفرعونَ قولاً لينًا، فنحنُ أولى بذلك، وحينئذ يحصلُ الآمرُ النّاهي على مرغوبه، ويظفر بمطلوبه، ولذلك امتنَّ اللهُ على نبيّه صلى الله عليه وسلم بقوله: ﴿فَبمَا رَحْمَة منَ الله لنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَليظَ الْقَلْب لاَنْفَضُّوا منْ حَوْلكَ﴾ (آل عمران: ١٥٩).

الحلم والصبر:

ولابدَّ أيضًا أنْ يكونَ حليمًا صبورًا على الأذى، فإنّهُ لا بدَّ أنْ يحصلَ له أذى، فإنْ لم يحلمْ ويصبرْ كان ما يفسدُ أكثرُ ممَّا

يصلح، كما قالَ لقمانُ لابْنه ﴿وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ (لقمان: ١٧)، ولهذا أمرَ الله الرُّسلَ -وهم أئمةُ الأمرِ بالمعروف والنَّهي عن المنكر بالصبر- وأمرَ بها خاتمَهم منذُ أنْ كلَّفهُ بالدَّعوة فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ (١) قُمْ فَأَنذِرْ (٢) وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ (٣) وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ (٤) وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ (٥) وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ (٦) وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ﴾ (المدثر: ١-٧)، فافتتحَ آياتِ الإرسالِ إلى الخَلق بالأمر بالنِّذارة، وختمَها بالأمر بالصَّبر، ونفسُ الإنذار أمرٌ بالمعروف ونهيٌ عن المنكر، فعُلمَ أنَّهُ يجبُ بعدَ ذلك الصَّبر، وقد تكررَ الأمرُ بالصبر كثيرًا في القرآن الكريم.

فلا بدَّ من هذه الثَّلاثة: العلمُ، والرِّفقُ، والصَّبرُ، العلمُ قبلَ الأمر والنَّهي، والرِّفقُ معه، والصَّبرُ بعدَهُ، وإنْ كان كلٌّ من الثَّلاثة مُستصحبًا في هذه الأحوال. ولهذا قالَ بعضُ السَّلف: لا يأمرُ بالمعروف وينهى عن المنكر إلاَّ من كان فقيهًا فيما يأمرُ به، فقيهًا فيما ينهى عنه، رفيقًا فيما يأمرُ به، رفيقًا فيما ينهى عنه، حليمًا فيما يأمرُ به، حليمًا فيما ينهى عنه. (مجموع فتاوى ابن تيمية (٢٨ /١٢٦-١٣٧) باختصار).

البدء بالأخف:

ولا بُدَّ للآمر أن يكون كالطبيب الحكيم يُشخِّصُ الداءَ ويصف الدواءَ المناسبَ في الكمّ والكَيْف من غير إسراف ولا تقتير، فلا يلجأ إلى التَّصريح إذا أغنى عنه التلميح، ولا يلجأ إلى الكلمة النابية إذا أغنت عنها الكلمةُ الطيبة، ولا يلجأ إلى الشِّدَّة إذا أغنى عنها اللين، فإنَّ الله تعالى قال: ﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ (الحجرات: ٩)، فقدَّم الإصلاحَ على القتال، وهذا يقتضي أن يَبْدَأَ في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالأرفق مترقيًا إلى الأغلظ فالأغلظ، وقال تعالى: ﴿وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا﴾ (النساء: ٣٤) فبدأ باللين ثم انتقل إلى الأشد فالأشد (مفاتيح الغيب (٨/ ١٨٤)).

وهذا من فقه الدعوة الذي يتعيَّنُ على كلِّ داعيةٍ حتى لا يُفسد أكثر مما يصلح، ولا يضرَّ أكثر مما ينفع.

فإذا أخذ الداعيةُ نفسَهُ بهذه الآداب وُفِّق في دعوته وأقبل الناسُ عليها، فليحرص الدعاةُ جميعًا على تعلُّم فقه الدعوة وأصولها، والله الهادي إلى سواء السبيل.

فضائل الحسبة:

وفي قيام هذه الجماعة بهذا الواجب حفظُ الأمَّة من انتشار الرذائل والموبقات، وصيانةٌ لها من المهلكات، فإنَّ الشَّرَّ إذا غلب، والخَبَثَ إذا كثُر فقد هلكت الأمَّةُ كلُّها، كما قال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً﴾ (الأنفال: ٢٥).

عَنْ زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ رضي الله عنها أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم دَخَلَ عَلَيْهَا فَزِعًا يَقُولُ: «لا إِلَهَ إلا الله، وَيْلٌ لِلْعَرَبِ مِنْ شَرٍّ قَدِ اقْتَرَبَ، فُتِحَ الْيَوْمَ مِنْ رَدْمِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مِثْلُ هَذَا، وَحَلَّقَ بِإِصْبَعِهِ الإِبْهَامِ وَالَّتِي تَلِيهَا. قَالَتْ زَيْنَبُ: فَقُلْتُ يَا رَسُولَ الله! أَنَهْلِكُ وَفِينَا الصَّالِحُونَ؟! قَالَ نَعَمْ إِذَا كَثُرَ الْخَبَثُ». (متفق عليه).

وَعَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «مَثَلُ الْقَائِمِ عَلَى حُدُودِ الله وَالْوَاقِعِ فِيهَا كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سَفِينَةٍ فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلاهَا وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا، فَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا مِنَ الْمَاءِ مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ، فَقَالُوا: لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا فِي نَصِيبِنَا خَرْقًا وَلَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا، فَإِنْ يَتْرُكُوهُمْ وَمَا أَرَادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا، وَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ نَجَوْا وَنَجَوْا جَمِيعًا». (البخاري ٢٤٩٣).

ومن فوائد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أنَّهُ عُنوانُ كمال الإيمان، كما قال تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ (التوبة: ٧١)، وتركه عنوان النفاق والطغيان، كما قال تعالى: ﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّن بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ﴾ (التوبة: ٦٧).

ومن فوائد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر استحقاقُ أهله للفلاح والنجاح في الدنيا والآخرة، كما قال تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (آل عمران: ١٠٤).

ومن فوائده استحقاقُ أهله لرحمة الله، كما قال تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (التوبة: ٧١)، فمن قام بالأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر فهو مرحوم، ومَنْ تركه فهو ملعون، كما قال تعالى: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ (٧٨) كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ (المائدة: ٧٨- ٧٩).

ومن فوائده: استحقاقُ أهله للسَّلامة والنَّجاة من العذاب إذا نزل بالظالمين، كما قال تعالى: ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ﴾ (هود: ١١٦)، وقال تعالى: ﴿وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ (١٦٣) وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ (١٦٤) فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ (الأعراف: ١٦٢- ١٦٥).

قال أبو حامد الغزالي-رحمه الله-: «الأمرُ بالمعروف والنَّهيُ عن المنكر ركنٌ من أركان الدين، بل هو القطبُ الأعظمُ في الدِّين، وهو المهمُّ الذي ابتعثَ الله له النَّبيِّين أجمعين، ولو طُويَ بساطه، وأُهملَ علمُهُ وعملُهُ لتعطلت النُّبُوة، واضمحلت الدِّيانةُ، وعمت الفترةُ، وفشت الضَّلالةُ، وشاعت الجهالةُ، واستشرى الفسادُ، واتسع الخرقُ، وخربت البلادُ».

الحث على الاجتماع والنهي عن التفرق:

ثُمَّ نهى اللهُ تعالى عبادَهُ المؤمنين عن أنْ يكونوا كاليهود والنَّصارى في افتراقهم مذاهب، واختلافهم عن الحقِّ بسبب اتباع الهوى، وطاعة النَّفس، والحسد حتى صارَ كلُّ فريق منهم يصدقُ من الأنبياء بعضًا دون بعض، ويدعو إلى ما ابتدعَهُ في دينه، فصاروا إلى العداوة والفرقة من بعد ما جاءتهم الآياتُ الواضحة، المبيِّنَةُ للحقِّ، الموجبةُ للاتفاق على كلمة واحدة، وهي كلمةُ الحقّ. فالنَّهيُ متوجهٌ إلى المتصدِّينَ للدَّعوة أصالةً، وإلى أعقابهم تبعًا. (محاسن التأويل (٤/١٧٨)).

وفيه إشارةٌ إلى أنَّ تركَ الأمرِ بالمعروف والنَّهي عن المنكر يُفضي إلى التَّفرق والاختلاف؛ إذ تكثرُ النَّزعاتُ والنَّزغات، وتنشقُّ الأمةُ بذلك انشقاقًا شديدًا، وفيه إشارةٌ إلى أنَّ الاختلافَ المذمومَ والذي يؤدي إلى الافتراق، هو الاختلافُ في أصول الدِّيانة الذي يُفضي إلى تكفير بعض الأمَّة بعضًا، أو تفسيقه، دونَ الاختلاف في الفروع المبْنيَّة على اختلاف مصالح الأمة في الأقطار والأعصار، وهو المُعبَّرُ عنه بالاجتهاد. (التحرير والتنوير٤/٤٣).

وفي قوله تعالى: ﴿وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ من التَّأكيد والمبالغة في وعيد المتفرقين، والتَّشديد في تهديد المتشبِّهين بهم، ما لا يخفى (محاسن التأويل٤/ ١٧٩)، وهذا الوعيدُ يقابلُ الوعدَ الكريمَ في الآية التي قبلَ هذه الآية، بقوله تعالى في الدَّاعينَ إلى الخير، الآمرين بالمعروف والنَّاهين عن المنكر: ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ فالفلاحُ في ذلك الوعد يشملُ الفوزَ بخير الدُّنْيا والآخرة، والعذابُ في هذا الوعيد يشملُ خسرانَ الدُّنْيا والآخرة.

أمَّا عذابُ الدُّنْيا فهو أنَّ المتفرقينَ المختلفين الذين اتبعوا أهواءَهم وحكَّموا في دينهم آراءَهم، يكونُ بأسُهم بيْنَهم شديدًا، فيشقى بعضُهم ببعض، ثُمَّ يبْتلونَ بالأُمم الطامعة في الضعفاء فتذيقهم الخزيَ والنَّكالَ، وتسلبهم عزةَ الاستقلال، وأمَّا عذابُ الآخرة فقد بيَّنَ اللهُ في كتابه أنَّهُ أشدُّ من عذاب الدُّنْيا وأبقى. وذلك العذابُ العظيمُ يكونُ للمتفرقينَ المختلفينَ ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾، (مختصر المنار١/ ٣٧٠ -٣٧١). أي تبيضُ وجوهٌ كثيرةٌ وهي وجوهُ المؤمنين؛ لاتباعها الدِّينَ الحقَّ الذي هو النُّورُ السَّاطع، وتسودُّ وجوهُ الكافرينَ من أهل الكتاب والمشركينَ، لاتباعها الضلالاتِ المظلمةَ، وليستدلَ بذلك على إيمانهم وكفرهم، فيُجازى كلٌّ بمقتضى حاله.

﴿فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ أي كفرتم بعدَ ما ظهرَ لكم ما يوجبُ الإيمان، وهو الدَّلائلُ التي نصبها الله تعالى على التَّوحيد والنُّبوة، كما قال تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ﴾ (آل عمران: ٧٠).

﴿وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ والمرادُ برحمة الله الجنة، وعُبِّرَ عنها بالرحمة تنبيهًا على أنَّ المؤمنَ وإنْ استغرقَ عمرَهُ في طاعة الله فإنَّهُ لا يدخل الجنةَ إلاَّ برحمته تعالى.

﴿تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ﴾ الإشارةُ إلى ما تقدمَ من الوعد والوعيد ﴿وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعَالَمِينَ﴾ أي لا يشاءُ أنْ يظلمَ عبادَهُ، فيأخذَ أحدًا بغير جرم أو يزيدُ في عقاب مجرم، أو ينقصَ من ثواب محسنٍ.

﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ أي لله تعالى وحدَهُ، من غير شركة، وما فيهما من المخلوقات ملكًا وخلقًا، وإحياءً وإماتةً، وإنابةً وتعذيبًا، ﴿وَإِلَى اللَّهِ﴾ أي إلى حكمه وقضائه ﴿تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ فيجازي كلاً بما وعدَهُ وأوعدَهُ، فلا داعي للظلم، لأنَّهُ غنيٌّ عن كلِّ شيْء، وقادرٌ على كلِّ شيْء. (محاسن التأويل ٤/ ١٩٠-١٩١).

والحمد لله رب العالمين.

«أربعين سنة»..

إن لحظات التغير في حياة الأمم قليلة ونادرة، وأقل منها وأكثر ندرة أن تُتاح في أوقات التغيير فرصة للتفكير واختيار الوجهة؛ بحيث تُعطى الفرصة للأمة لتتدبر ماضيها ولتختار مستقبلها دون قيود أو معوقات، وفي هذه الحالة لا تكون لحظة تغيير فحسب، ولكنها معجزة من معجزات الله تبارك وتعالى وآية من آيات قدرته ربما تشبه إلى حد ما الفرصة التي يمنحها الله تبارك وتعالى لعباده كل عام في رمضان؛ بحيث تصفد الشياطين كما أخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال: «إذَا جَاءَ رَمَضَانُ فُتِّحَتْ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ، وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ النَّارِ، وَسُلْسِلَتْ الشَّيَاطِينُ» (متفق عليه). وعندها يقف الإنسان أمام نفسه بدون معوقات تحول بينه وبين ربه..لكن!! نحن نتكلم هنا عن حياة الأمم حين تقع المعجزة وتصبح الأمة عن الاختيار غير عاجزة ولا تقف بينها وبين الخير قوة حاجزة، فالأمر هنا كبير ربما لم يحدث إلا مرات قليلة جدًّا، لعل منها ما حدث مع بني إسرائيل وقد كانوا في معيشة ضنك؛ يسومهم فرعون سوء العذاب ﴿يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ (القصص:٤) عقود من الذل والاستعباد عاشها بنوا إسرائيل تحت وطأة فرعون وملئه، حتى تغيرت الفطر وألفت النفوس الذل والاستعباد وحتى المهانة التي لحقت بهم قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ﴾ (الدخان:٣٠)، نجاهم ربنا تبارك وتعالى بأمر من عنده بعد لحظات عصيبة عاشوها؛ عذاب لا يحتمل، ومهانة خالطت القلوب والأجساد ثم هروب من فرعون وجنوده إلى حافة البحر حتى قالوا: ﴿إِنَّا لَمُدْرَكُونَ﴾ وفرق البحر بقدرة الله، وهذه آية من آيات الله التي تكفي ليوقن من عاشها وشاهدها بوجوده سبحانه وبقدرته، وفي لحظات حاسمة طويت صفحة فرعون، وأدركه الغرق بعد أن كاد هو يدرك بني إسرائيل، ومضى حكم الله نافذاً ﴿إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ﴾ (الدخان:٢٤).. ﴿كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ﴾ (الدخان:٢٨).

ووقف القوم على الشاطئ الآخر من البحر، على الشاطئ الآخر من المعجزة.. بدون فرعون..بدون هامان.. وبدون «جنودهما»!!

ذهب الخوف ورفعت القيود، ونظر الناس أمامهم والخيار في أيديهم.

نحن أمام معجزة تمت لقد كسرت القيود ولاحت الفرص. وهي معجزة بالغة الدلالة على فضل الله سبحانه وتعالى، لكن العجيب أن القوم عندما وقفوا على أرض الحرية ذهبوا في الاتجاه المعاكس تمامًا ﴿قَالُوا: يَا مُوسَى اجْعَل لَّنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾ (الأعراف:١٣٨) سبحان الله تريدون إلهاً!! إذاً فمن الذي نجاكم منذ لحظات؟! ﴿قَالَ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ (الأعراف:١٤٠)

هذا ما وقع فيه بنو إسرائيل بعدما نجاهم الله وحده سبحانه وتعالى راحوا يطلبون إلهاً غيره وطريقًا غير طريقه، وفي قصتهم هذه درس عظيم لنا خاصة في هذه الأيام من «أيام الله» التي نشهد فيها أحداثًا على قدر كبير من التشابه مع ما حدث لهم؛ فنحن نقف الآن على أرض الحرية بعد أن نجانا الله من القوم الظالمين وأصبحنا على الجانب الآخر نتدبر ما كان ونختار لمستقبلنا ومستقبل أمتنا.. فهل ننظر إلى نعمة الله علينا، فنقول كما قال موسى عليه السلام: ﴿رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ﴾ (القصص:١٧) فنتوجه إلى صاحب النعمة إلى رب العالمين..؟ أم إننا بحاجة إلى استكمال القصة كما استكملها بنوا إسرائيل؟!!

﴿قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا﴾ (البقرة:٩٣) على هذا المنهج سار القوم وبمثل هذا الدستور استكملوا حكايتهم على أرض الحرية؛ اختاروا طريقهم ... طريق العبودية، لكن عبدوا ﴿عِجْلاً جَسَدًا لَّهُ خُوَارٌ﴾!!.. بهذه الصفات البشعة اختار القوم معبودهم الذي طلبوه من موسى عليه السلام!!

ومن هنا بدأت الرحلة واختار القوم بكامل حريتهم طريقاً غير طريق الله ﴿ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾ (النساء:١٥٣) وبعدما تاهوا وراء عجلهم علموا أن الطريق مسدودة ﴿وَلَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ

تاهوا.. أم يتيهون!!

إعداد/ سامح أحمد أبو الروس

قَدْ ضَلُّواْ قَالُواْ لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (الأعراف:١٤٩)

وعادوا بعدها إلى نقطة البداية واختاروا طريقًا جديدًا لكنهم وكأن شيئاً لم يكن ﴿وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا﴾ (النساء:٤٦) فلما قال لهم نبيهم: ﴿يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الأَرْضَ المُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللّهُ لَكُمْ وَلاَ تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا خَاسِرِينَ﴾ (المائدة:٢١) ﴿قَالُواْ يَا مُوسَى إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا أَبَدًا﴾ (المائدة:٢٤)، فكتب الله تبارك وتعالى عليهم التيه الذي اختاروه لأنفسهم من بداية الرحلة على أرض الحرية ﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الأَرْضِ فَلاَ تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ (المائدة:٢٦) تاه القوم وظلوا هكذا لا يستقر لهم قرار ولا يستقيم لهم حال، كلما أنعم الله عليهم بنعمة يستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير!!

والتيه في اللغة: الحيرة.. قال السعدي: «يتيهون في الأرض، لا يهتدون إلى طريق ولا يبقون مطمئنين».

هكذا كانت وجهة بني إسرائيل عندما فتحت أمامهم أبواب الحرية والاختيار.. وهذه قصتهم أخبرنا الله تبارك وتعالى بها في كتابه لتكون حكمة بالغة لعلنا نتذكر أو نخشى.

وعند هذا الحد كان من المفترض أن تقف البشرية كلها على هذه القصة، وكان من المتوقع ألا تتكرر.. ولكنها السنن!!

كما روى أبو واقد الليثي - وكان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه و سلم - قال: لما افتتح رسول الله مكة خرج بنا معه قبل هوزان حتى مررنا على سدرة الكفار: سدرة يعكفون حولها ويدعونها ذات أنواط قلنا: يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الله أكبر إنها السنن، هذا كما قالت بنو إسرائيل لموسى: (اجعل لنا إلها كما لهم آلهة قال إنكم قوم تجهلون) ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لتركبن سنن من قبلكم» (ابن حبان وقال شعيب الأرنؤوط: «إسناده صحيح على شرط مسلم).

هكذا هي السنن فمن سنن الله التي لا تتبدل أن من اختار طريقاً غير طريق الله دخل في « تيه » لا يعلم منتهاه إلا الله، ولقد ذقنا مرارة الاحتلال الأجنبي لبلادنا، فلما نجانا الله من المحتل اختار أصحاب القرار وقتها من على أرض الحرية طريقاً غير الطريق الله وقالوا: «اشتراكية ومركسية»، ووافقهم من وافقهم على ذلك فدخلت الأمة في التيه ثم عادت كما عاد بنو إسرائيل، لكنهم وبنفس الطريقة اختاروا طريقاً غير طريق الله وقالوا: «ديمقراطية ورأس مالية»، ودخلت الأمة في التيه سنين عددًا، ثم لما عرف القوم أن الطريق مسدود عادوا إلى نقطة البداية وهذه المرة بفضل الله المحض وقفت الأمة على أعتاب باب الحرية!!

لكن.. مازالت أصوات عالية ومصممة على دخول التيه مرة أخرى فنسمع من ينادي بالعلمانية تارة، ومن ينادي بالليبرالية تارة أخرى ومن يجمع بينهما، والمهم عندهم أن تبتعد الأمة مرة أخرى عن طريق ربها!!

والسؤال هنا هل نتمكن هذه المرة أن نخرج من هذا التيه الذي دخلت فيه أمتنا منذ سنين، ونكتفي بهذه المراحل التي تاهت من عمر الأمة وتاهت فيها الأمة أم ندخل في مرحلة جديدة من التيه بعد أن تبينت لنا سنن الله في المخالفين لمنهجه؟!

وإجابة هذا السؤال تعتمد إلى حد كبير على نجاح أهل الحق في عرض الحق الذي معهم وتحويله إلى واقع ملموس في حياة الناس.

ونقول لهؤلاء الذي ما كفاهم المتاهات التي دخلت فيها الأمة بعيدًا عن شرع الله نقول لهم كما قال الله تعالى ﴿وَإِن تَنتَهُوا فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِن تَعُودُوا نَعُدْ وَلَن تُغْنِيَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ﴾، انتهوا خيرًا لكم يا عباد الله، هذه هي سنة الله فيمن اختار طريقًا غير طريقه، أنتم الآن على أرض الحرية، فأين تذهبون؟!

محبة آل البيت

من أصول منهج أهل السنة والجماعة

الحمد لله الذي أسبغ علينا نعمه ظاهرة وباطنة، وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك كله، وله الحمد كله، وإليه يرجع الأمر كله، وأشهد أن محمدًا عبد الله ورسوله، نبي الرحمة وإمام الهدى، كان حريصًا على هداية أمته؛ فأرشدهم إلى ما ينفعهم، وحذرهم مما يضرهم، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وبعد:

إن من أصول أهل السنة والجماعة أنهم يحبون آل بيت رسول الله- صلى الله عليه وسلم-؛ لقرابتهم من رسول الله- صلى الله عليه وسلم-، ولإيمانهم بالله.

ومن أهل بيته أزواجه - صلى الله عليه وسلم - بنص القرآن، قال تعالى: ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا (٣٠) وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا (٣١) يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا (٣٢) وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ (الأحزاب: ٣٠- ٣٣).

فأهل البيت هنا يدخل فيهم أزواج النبي- صلى الله عليه وسلم - لا ريب.

وكذلك يدخل فيهم قرابته - صلى الله عليه وسلم، علي، وفاطمة والحسن والحسين، وغيرهم كالعباس بن عبد المطلب وأبنائه.

فأهل السنة والجماعة يحبونهم، ويتولونهم، ويحفظون فيهم وصية رسول الله في حجة الوداع: أذكركم الله في أهل بيتي ثلاثًا. (رواه مسلم ٢٠٤٨).

قال الشيخ ابن عثيمين - رحمه الله -: «يعني: اذكروا

إعداد/ صلاح عبدالمعبود

الله، اذكروا خوفه وانتقامه إن أضعتم حق آل بيتي، واذكروا رحمته وثوابه إن قمتم في حقهم» اهـ. (شرح العقيدة الواسطية ٢٥٢).

وقد كان أصحاب رسول الله- صلى الله عليه وسلم -أشد تعظيمًا ومحبة لآل بيت رسول الله- صلى الله عليه وسلم- لاستشعارهم مكانة أولئك من النبي- صلى الله عليه وسلم-، فقد روى البخاري في صحيحه عن أبي بكر قال: "ارقبوا محمدًا- صلى الله عليه وسلم- في آل بيته" (رواه البخاري ٣٧١٣).

وعن الشعبي قال: صلى زيد بن ثابت على جنازة أمه، ثم قربت له بغلته ليركبها، فجاء ابن عباس فأخذ بركابه: خل عنك يا ابن عم رسول الله. فقال: هكذا أُمرنا أن نفعل بعلمائنا، فقبَّل زيد يد ابن عباس، وقال: هكذا أُمرنا أن نفعل بآل بيت نبينا صلى الله عليه وسلم (الشفا ٦٠٨/٢).

ولما دخل عبد الله بن الحسن بن الحسين بن علي بن أبي طالب - رضي الله عنهم أجمعين - في حاجة له على عمر بن عبد العزيز قال له عمر: إذا كانت لك حاجة فأرسل إليَّ أو اكتب فإني أستحي من الله أن يراك على بابي. (الشفا ٦٠٨/٢).

فنحن مع محبتنا الشديدة، وتقديرنا لآل بيت رسول الله- صلى الله عليه وسلم- إلا أننا لا نرفعهم فوق منزلتهم التي أنزلهم الله إياها، ولا نغلوا فيهم، فالنبي- صلى الله عليه وسلم- حذرنا من الغلو فيهم، فقد قال - صلى الله عليه وسلم -: «لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم فإنما أنا عبد الله ورسوله » (متفق عليه).

والإطراء: هو المبالغة ومجاوزة الحد في المدح، فما بالنا بمن يغلو فيمن هو دونه من آل بيته وغيرهم من الصالحين، ويجعلونهم أندادًا من دون الله؟!!

والله من وراء القصد

السنة هي المصدر الثاني للتشريع

الحلقة الثالثة

إعداد/ زكريا حسيني محمد

الحمد لله رب العالمين، حمدًا كثيرًا مباركًا فيه ملء السماوات وملء الأرض وملء ما بينهما وملء ما شاء ربنا من شيء بعد، والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على خير الخلق سيد ولد آدم، وعلى آله وصحبه أجمعين والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعدُ:

فقد تكلمنا في الحلقتين السابقتين عن السنة كمصدر ثانٍ من مصادر التشريع بعد المصدر الأول وهو القرآن الكريم، وبيّنا بعض الشبهات التي أثيرت حول السنة وردها، وفي هذا المقال نكمل الحديث مستعينين بالله تعالى فنقول وبه الثقة والتوفيق:

الشبهة الثالثة:

قالوا: هناك أخبار عن النبي صلى الله عليه وسلم تدل على عدم حجية السنة، ومن ذلك ما روي أنه صلى الله عليه وسلم دعا اليهود فسألهم فحدّثوه حتى كذبوا على عيسى عليه السلام، فصعد النبي صلى الله عليه وسلم المنبر، فخطب الناس فقال: «إن الحديث سيفشو عني، فما أتاكم يوافق القرآن، فهو عني، وما أتاكم عني يخالف القرآن فليس عني». (معرفة السنن للبيهقي: ٧). وقد روي هذا المعنى من طرق متعددة، وهو يفيد وجوب عرض ما يُنسَب إليه صلى الله عليه وسلم على الكتاب، وأنه لا يصح التمسك إلا بما ساواه إجمالاً وتفصيلاً، دون ما أفاد حكمًا استقلالاً، ودون ما بيّن حكمًا قد أجمله الكتاب؛ لأن كلا منهما ليس موجودًا فيه، فتكون وظيفة السنة محض التأكيد، وعلى ذلك لا تكون حجة على حكم شرعي؛ لأن دلالة ما هو حجة على شيء لا تتوقف على ثبوت ذلك الشيء بحجة أخرى، بل لك أن تمنع التأكيد أيضًا، فإنه فرع صلاحية الدليل للتأسيس منفردًا فهي لا توصف إلا بالموافقة.

وقالوا أيضًا: وروي أنه صلى الله عليه وسلم قال: «إذا حُدثتم عني حديثًا تعرفونه ولا تنكرونه، قلته أم لم أقله، فصدّقوا به؛ فإني أقول ما يُعرف ولا يُنكر، وإذا حُدثتم عني حديثًا تُنكرونه ولا تعرفونه، فلا تصدقوا به، فإني لا أقول ما يُنكر ولا يُعرف». (الدارقطني: ١٩، وضعفه الألباني). وقد روي هذا المعنى من طرق مختلفة، وهذا يفيد عرض ما نُسب إليه صلى الله عليه وسلم على المستحسن المعروف عند الناس من الكتاب أو العقل، فلا تكون السنة حجة كما تقدم.

وروي أنه صلى الله عليه وسلم قال: «إني لا أُحِلُّ

إلا ما أحلَّ الله في كتابه، ولا أحرِّم إلا ما حرَّم الله في كتابه». (سنن البيهقي: ١٣٢١٧).

وروي أن بعض الصحابة سأل النبي صلى الله عليه وسلم: هل يجب الوضوء من القيء؟ فأجاب صلى الله عليه وسلم: «لو كان واجبًا لوجدته في كتاب الله تعالى». (الدارقطني: ٤١). فدل على أنه لا يجب إلا ما كان في كتاب الله، ولا توجب السنة شيئًا.

والجواب عن الشبهة:

أحاديث العرض كلها ضعيفة

أنه قد بيّن ابن حزم في «الإحكام» والسيوطي في «مفتاح الجنة» أن أحاديث العرض على كتاب الله تعالى كلها ضعيفة، لا يصح التمسك بشيء منها، فمنها ما هو منقطع، ومنها ما بعض رواته غير ثقة أو مجهول، ومنها ما جُمع بينهما.

وقال الإمام الشافعي في «الرسالة»: «ما روى هذا أحد يثبت حديثه في شيء صَغُرَ ولا كَبُرَ - ونحن لا نقبل مثل هذه الرواية في شيء». اهـ.

وقال ابن عبدالبر في «جامعه»: «قال عبدالرحمن بن مهدي: الزنادقة والخوارج وضعوا هذا الحديث».

ثم قال: وهذه الألفاظ لا تصح عنه صلى الله عليه وسلم عند أهل العلم بصحيح النقل من سقيمه، وقد عارض هذا الحديث قومٌ من أهل العلم، وقالوا: نحن نعرض هذا الحديث على كتاب الله قبل كل شيء، ونعتمد على ذلك، قالوا: فلما عرضناه على كتاب الله تعالى وجدناه مخالفًا لكتاب الله؛ لأنا لم نجد في كتاب الله ألا يقبل من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا ما وافق كتاب الله، بل وجدناه يطلق التأسيَ به صلى الله عليه وسلم، والأمرَ بطاعته، ويحذر من المخالفة عن أمره جملةً على كل حال. اهـ. فقد رجع الحديث حينئذ على نفسه بالبطلان.

وقد ورد في بعض طرق هذا الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال: «إنه سيأتيكم عني أحاديث مختلفة، فما أتاكم موافقًا لكتاب الله وسنتي فهو مني، وما أتاكم مخالفًا لكتاب الله وسنتي فليس مني». (الدارقطني: ٥٥١٣، وضعفه الألباني).

وهذه الرواية - وإن كانت ضعيفة أيضًا - ليست أضعف من غيرها - وهي كما ترى - لنا لا علينا.

ومما يدل على أن هذا الخبر موضوع أنه صح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: «لا ألفين أحدكم متكئًا على أريكته يأتيه الأمر من أمري مما أمرت به، أو نهيت عنه، فيقول: لا ندري ما وجدناه في كتاب الله اتبعناه» (ابن ماجه ١٣ وصححه الألباني).

قال الإمام الشافعي في الرسالة بعد أن روى هذا الحديث: «فقد ضيّق رسول الله صلى الله عليه وسلم على الناس أن يردُّوا أمره؛ بفرض الله عليهم اتباعَ أمره».

وهل يفهم أحد من المسلمين - على فرض صحة حديث عرض السنة على القرآن - أن معنى الحديث أن ما يصدر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم على نوعين: ما يوافق القرآن؛ فهذا يُعمل به، وما يخالفه؛ فهذا يُرَد؟

وكيف يكون هذا معنى الحديث ورسول الله صلى الله عليه وسلم معصوم - بالاتفاق - عن أن يصدر عنه ما يخالف القرآن، وهو أعظم الناس حفظًا وأبلغهم له تدبرًا وفهمًا، وأكثرهم له ذكرًا؟ وقد قال ربنا تبارك وتعالى: ﴿قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَى إِلَيَّ﴾ (يونس:١٥)، فكل مسلم يعتقد أن كل ما يصدر عن الرسول صلى الله عليه وسلم لا يمكن أن يخالف القرآن بحال من الأحوال.

والحق أنه لا يلزم من عدم مخالفة ما يصدر عن الرسول صلى الله عليه وسلم للكتاب بطلان حجية السنة، وألا يبين حكمًا أجمله القرآن، أو تخصيص عام، أو تقييد مطلق، أو انتهاء حكم ونسخه، وألا يوضح مشكلاً فيه - كما يفهمه أصحاب الشبهة - فإن هذا البيان موافق تمام الموافقة لمراد الله تعالى، والنبي صلى الله عليه وسلم أمر برد ما يخالف الكتاب، ولا يلزم من ذلك ردُّ ما ليس بموافق ولا بمخالف، والدليل على ذلك رواية أخرى لحديث العرض على الكتاب - رواها ابن حزم - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «الحديث عني على ثلاث: فأيما حديث بلغكم عني تعرفونه بكتاب الله تعالى فاقبلوه، وأيما حديث بلغكم عني لا تجدون في القرآن ما تنكرونه به، ولا تعرفون موضعه فيه فاقبلوه، وأيما حديث بلغكم عني تقشعر منه جلودكم وتشمئز منه قلوبكم وتجدون في القرآن خلافه فرُدّوه». وهذه الرواية وإن كانت ضعيفة، فإنها من نوع ما يحتج به أصحاب الشبهة.

وعلى ذلك فلا دلالة في هذه الرواية على بطلان الاحتجاج بالسنة على حكم لم يرد في القرآن الكريم، ودلت عليه مستقلة، فهو حكم لم يخالف القرآن؛ حيث قد سكت القرآن عنه.

بل القرآن قد تعرض له على وجه الموافقة إجمالاً، قال الله تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ (الحشر: ٧)، وعمّمه ولم يخصصه بالموافقة إجمالاً وتفصيلاً من كل وجه.

على أن النبي صلى الله عليه وسلم قد يفهم من القرآن

ما لم يفهمه غيره، فنظنه نحن ليس في القرآن وهو فيه، ومن ذلك أنه سُئل صلى الله عليه وسلم عن الحُمر الأهلية، فقال: «ما أُنزل عليَّ فيها شيءٌ إلا هذه الآية الجامعة الفاذة: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (٧) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ (الزلزلة: ٧، ٨) (البخاري ٢٣٧١).

فانظروا يا من تريدون أن تستقلوا باستنباط الأحكام من القرآن، بعيدًا عن السنة، أتستطيع عقولكم أن تستنبط هذا الحكم من هذه الآية؟ كما استنبطها الرسول صلى الله عليه وسلم.

قال ابن مسعود رضي الله عنه: «ما من شيء إلا بُيِّن لنا في القرآن، ولكن فهمنا يقصر عن إدراكه، فلذلك قال الله تعالى: ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ (النحل: ٤٤). فهذا ابن مسعود – وهو من هو – أحد أجلاء الصحابة وأقدمهم إسلامًا. يقول: ولكن فهمنا يقصر عن إدراكه.

قال البيهقي في «المدخل»: وعلى الأحوال كلها، حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الثابت عنه قريبٌ من العقول، موافقٌ للأصول، لا ينكره عَقْلُ من عَقَلَ عن الله الموضع الذي وضع به نبيه من دينه، وما افترض على الناس من طاعته، ولا ينفر منه قلب مَن اعتقد تصديقه فيما قال، واتباعه فيما حكم به، وكما هو جميل حسن من حيث الشرع، جميل في الأخلاق، حسن عند أولي الألباب. اهـ.

قال ابن عبدالبر: كان أبو إسحاق إبراهيم بن سيار يقول: بلغني وأنا أحدث أن نبي الله صلى الله عليه وسلم نهى عن اختناث فم القربة والشرب منه (اخْتَنَث السِّقاء: شرب من فم السقاء، وذلك بأن يثني فمه إلى خارج ويشرب منه أو أن يُكسر فَيشْرَب من فيه)، فكنت أقول: إن لهذا الحديث لشأنًا، وما في الشرب من فم القربة حتى يجيء فيه هذا النهي؟ فلما قيل لي: إن رجلاً شرب من فم القربة فوكعته حية فمات، وإن الحيات والأفاعي تدخل في أفواه القرب، علمت أن كل شيء لا أعلم تأويله من الحديث أن له مذهبًا وإن جهلته.

فعقول المسلمين سليمة والحمد لله – إلا من شذ منهم – توجب الأخذ بما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم؛ حيث إنه سفير ورسول بين الله وبين خلقه، وإن لم يكن جاء في كتاب.

الشبهة الرابعة

قال أصحاب الشبهات المتهوكون: لو كانت السنة حجة لأمر النبي صلى الله عليه وسلم بكتابتها، ولعمل الصحابة والتابعون – رضوان الله عليهم – من بعد على جمعها وتدوينها، فإن حُجيّتها تستدعي الاهتمام بها والعناية بحفظها والعمل على صيانتها؛ حتى لا يعبث بها العابثون، ولا يبدلها المبدلون، ولا ينساها الناسون، ولا يخطئ فيها المتحرون، وحفظها وصيانتها إنما يكون بالأمر بتحصيل سبيل القطع بثبوتها للمتأخرين، فإن ظنيّ الثبوت لا يصح الاحتجاج به، كما يدل عليه قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ (الإسراء:٣٦)، وقوله تعالى: ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ﴾ (الأنعام:١١٦)، ولا يحصل القطع بثبوتها إلا بكتابتها وتدوينها كما هو الشأن في القرآن، لكن النبي صلى الله عليه وسلم لم يقتصر على عدم الأمر بكتابتها، بل تعدى ذلك إلى النهي عنها، والأمر بمحو ما كُتب منها، وكذلك فعل الصحابة رضي الله عنهم، والتابعون رحمة الله عليهم، ولم يحصل تدوينها وكتابتها إلا بعد مضي مدة طويلة تكفي لأن يحصل فيها من الخطأ والنسيان والتلاعب والتبديل والتغيير ما يورث الشك في أي شيء منها وعدم القطع به، ويجعلها جديرة بعدم الاعتماد عليها وأخذ حكم منها.

فهذا الذي حصل من النبي صلى الله عليه وسلم ومن الصحابة والتابعين يدل على أن الشارع قد أراد عدم حصول سبيل القطع بثبوتها، وهذه الإرادة تدل على أنه لم يعتبرها وأراد ألا تكون حجة.

ثم ساق أصحاب الشبهات أحاديث وآثارًا يستدلون بها على ما أصّلوه من هذه الشبهة، أقتصر على بعضها؛ فمنها:

حديث أبي سعيد عند مسلم في صحيحه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لا تكتبوا عني، ومن كتب عني غير القرآن فليمحه، وحدثوا عني ولا حرج، ومن كذب عليَّ فليتبوأ مقعده من النار» (مسلم ٣٠٠٤).

وحديثه عند أحمد في مسنده قال: كنا قعودًا نكتب ما نسمع من النبي صلى الله عليه وسلم فخرج علينا فقال: «ما هذا تكتبون؟» فقلنا: ما نسمع منك، فقال: «أكتاب مع كتاب الله؟ امحَضوا كتاب الله وخلّصوه». قال: فجمعنا ما كتبنا في صعيد واحد ثم أحرقناه بالنار، قلنا: أيْ رسول الله، أنتحدث عنك؟ قال: «نعم، تحدثوا عني ولا حرج، ومن كذب عليَّ متعمدًا فليتبوأ مقعده من النار». قال: فقلنا: يا رسول الله، أنتحدث عن بني إسرائيل؟ قال: «نعم تحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج، فإنكم لا تحدثون عنهم بشيء إلا وقد كان فيهم أعجب منه» (أحمد ١١١٠٧).

وما رواه أبو داود عن المطلب بن عبد الله بن حَنْطَب أنه قال: دخل زيد بن ثابت إلى معاوية – رضي الله عنهما – فسأله معاوية عن حديث فأخبره به، فأمر معاوية إنسانًا يكتبه، فقال له زيد: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم

أمرنا ألا نكتب شيئًا من حديثه، فمحاه. (أبو داود ٣٦٤٧ وضعفه الألباني).

وما رواه البيهقي في المدخل، وابن عبد البر عن عروة ابن الزبير (أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أراد أن يَكْتُبَ السنن، فاستفتى أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك، فأشاروا عليه بأن يكتبها، فطفق عمر يستخير الله فيها شهرًا، ثم أصبح يومًا وقد عزم الله له، فقال: إني كنت أريد أن أكتب السنن، وإني ذكرت قومًا كانوا قبلكم كتبوا كتبًا، فأكبوا عليها، وتركوا كتاب الله، وإني والله لا أشوب كتاب الله بشيء أبدًا) (موطأ مالك ١ / ٢٧).

وما رواه ابن عبد البر عن أبي سعيد – وقد قيل له: لو اكتتبنا الحديث – فقال: لا نكتبكم، خذوا عنا كما أخذنا عن نبينا صلى الله عليه وسلم.

وما رواه عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: إنا لا نَكْتُبُ العلم ولا نُكْتِبه.

وما رواه عن الأسود بن هلال أنه قال: أُتي عبد الله بصحيفة فيها حديث، فدعا بماء فمحاها، ثم غسلها، ثم أمر بها فأُحرقت، ثم قال: أذكِّر الله رجلاً يعلمها عند أحد إلا أعلمني به، والله لو أعلم أنها بدير هند لبلغتها، بذلك هلك أهل الكتاب قبلكم حين نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون.

وما رواه عن الأوزاعي أنه قال: كان هذا العلم شيئًا شريفًا إذ كان من أفواه الرجال يتلاقونه ويتذاكرونه، فلما صار في الكتب ذهب نوره وصار إلى غير أهله.

إلى غير ذلك من الآثار.

الجواب عن الشبهة:

قال الشيخ عبد الغني عبد الخالق في الجواب عن هذه الشبهة ما ملخصه: قد اشتملت هذه الشبهة على عدة مسائل، حاد فيها صاحبها عن سبيل الحق، وتجنب طريق الصواب، فينبغي لنا أن نبينها مسألة مسألة، مع بيان ما فيها من خطأ وفساد رأي؛ حتى تنهار من جميع نواحيها، وتقتنع تمام الاقتناع بفسادها، وذلك على النحو الآتي:

صيانة الحجة إنما تحصل بعدالة حاملها:

المعوَّل عليه في المحافظة على ما هو حجة وصيانته من التبديل والتغيير والخطأ؛ هو أن يحمله العدل الثقة حتى يوصله لمن هو مثله في هذه الصفة، سواء كان الحمل له على سبيل الحفظ للفظه، أم الكتابة له، أم الفهم لمعناه فهمًا دقيقًا مع التعبير عن ذلك المعنى بلفظ واضح بدون لبس ولا إبهام، فأي نوع من هذه الثلاثة يكفي في الصيانة، ما دامت صفة العدالة متحققة، فإذا اجتمعت هذه الثلاثة مع العدالة كان ذلك هو الغاية في المحافظة، وإذا اجتمعت الثلاثة وانتفت العدالة لم يغن اجتماعها شيئًا، ولم نأمن حينئذ من التبديل والعبث بالحجة.

ومن باب أولى إذا ما انفردت الكتابة عن الحفظ والفهم وعدالة الكاتب أو الحامل للمكتوب، فإننا لا نثق بشيء من المكتوب؛ فإن اليهود والنصارى كانوا يكتبون التوراة والإنجيل، ومع ذلك وقع التبديل والتغيير فيهما كما تجردوا من صفة العدالة، فقد قال الله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾ (البقرة:٧٩).

الحجية لا تتوقف على الكتابة:

إذا كان المهم في المحافظة على الحجة عدالة حاملها – على أي وجه كان حملها – تحققنا أن الكتابة ليست من لوازم الحجية، وأن صيانة الحجة ليست متوقفة عليها، ومما يزيد ذلك بيانًا وتثبيتًا ما يلي:

أولاً: كان النبي صلى الله عليه وسلم يرسل السفراء من الصحابة إلى القبائل ليدعوا الناس إلى الإسلام، ويعلموهم أحكامه، ويقيموا فيهم شعائره، ولم يرسل صلى الله عليه وسلم مع كل سفير مكتوبًا من القرآن يكفي لإقامة الحجة على جميع الأحكام التي يبلِّغها السفير إلى المرسَل إليهم، بل الغالب أنه صلى الله عليه وسلم كان يكتب للسفير كتابًا يثبت فيه سفارته، ويصحح به بعثته، وفي بعض الأحيان كان يكتب له كتابًا مشتملاً على بعض الأحكام من السنة، وليس فيه نص قرآني، أو فيه نص قرآني غير أنه لا يكفي لإقامة الحجة على جميع الأحكام التي يراد تبليغها.

وحينئذ يتبين لنا أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يرى في عدالة السفير وحفظه لما حفظه من القرآن والسنة الكفاية في إقامة الحجة على المرسَل إليهم وإلزامهم اتباعه.

ثانيًا: نعلم أن الصلاة – وهي قاعدة الإسلام الثانية بعد الشهادتين – لا يمكن للمجتهد أن يهتدي إلى كيفيتها من القرآن وحده، بل لا بد من بيان الرسول صلى الله عليه وسلم، ولم يثبت أنه صلى الله عليه وسلم أمر بكتابة كيفيتها التي بينها بفعله وقوله، ولو كانت الكتابة من لوازم الحجية لما جاز أن يترك النبي صلى الله عليه وسلم هذا الأمر الخطير لاجتهاد المجتهدين بمحض عقولهم.

ثالثًا: قد ثبتت حجية السنة بما لا يدع مجالاً للشك، وقد قامت الأدلة على ذلك، ومع كل ذلك لم يأمر النبي صلى الله عليه وسلم أمر إيجاب بكتابة كل ما صدر عنه.

وللحديث بقية إن شاء الله، والحمد لله رب العالمين.

درر البحار (٨٥)

مشروع تيسير حفظ السنة
من صحيح الأحاديث القصار

إعداد/ علــي حشيش

٢٥٦٤- عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَوَكَّلُونَ عَلَى اللَّهِ حَقَّ تَوَكُّلِه لَرُزِقْتُمْ كَمَا يُرْزَقُ الطَّيْرُ تَغْدُو خِمَاصًا وَتَرُوحُ بِطَانًا. (حم: ٢٠٥، ت: ٢٣٤٤، وقال: حديث حسن صحيح).

٢٥٦٥- عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي كُلُّ مُنَافِقٍ عَلِيمِ اللِّسَانِ. (حم: ١٤٣، حديث حسن صحيح).

٢٥٦٦- عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ سَمِعْتُ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ: فِيمَا الرَّمَلَانُ الْآنَ وَالْكَشْفُ عَنْ الْمَنَاكِبِ وَقَدْ أَطَّأَ اللَّهُ الْإِسْلَامَ وَنَفَى الْكُفْرَ وَأَهْلَهُ وَمَعَ ذَلِكَ لَا نَدَعُ شَيْئًا كُنَّا نَفْعَلُهُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

(د: ١٨٨٧، جه: ٢٩٥٢، صحيح. ومعنى: «أطَّأ»: أي ثبته وأحكمه، والهمزة الأولى فيه بدل من واو وطأ).

٢٥٦٧- عَنْ أُبَيِّ بن كَعْبٍ رَضِيَ اللَّهُ عنه: كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَعْتَكِفُ فِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ فَلَمْ يَعْتَكِفْ عَامًا، فَلَمَّا كَانَ فِي الْعَامِ الْمُقْبِلِ اعْتَكَفَ عِشْرِينَ لَيْلَةً. (د: ٢٤٦٣: صحيح).

٢٥٦٨- عن أُسَامَةَ بْنِ أَخْدَرِيٍّ أَنَّ رَجُلاً يُقَالُ لَهُ أَصْرَمُ كَانَ فِي النَّفَرِ الَّذِينَ أَتَوْا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا اسْمُكَ؟ قَالَ: أَنَا أَصْرَمُ، قَالَ: بَلْ أَنْتَ زُرْعَةُ. (د: ٤٩٥٤: حسن صحيح).

٢٥٦٩- عَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ رضي الله عنهما قَالَ: كُنْتُ رَدِيفَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَشِيَّةَ عَرَفَةَ. قَالَ: فَلَمَّا وَقَعَتْ الشَّمْسُ دَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. (د: ١٩٢٤ حسن صحيح).

٢٥٧٠- عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِذَا ابْتَلَى اللَّهُ الْعَبْدَ الْمُسْلِمَ بِبَلَاءٍ فِي جَسَدِهِ، قَالَ اللَّهُ اكْتُبْ لَهُ صَالِحَ عَمَلِهِ الَّذِي كَانَ يَعْمَلُهُ، فَإِنْ شَفَاهُ غَسَلَهُ وَطَهَّرَهُ، وَإِنْ قَبَضَهُ غَفَرَ لَهُ وَرَحِمَهُ. (حم: ١٤٨/٣ صحيح).

٢٥٧١- عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: جَاءَتْ أُمُّ سُلَيْمٍ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ عَلِّمْنِي كَلِمَاتٍ أَدْعُو بِهِنَّ. قَالَ تُسَبِّحِينَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ عَشْرًا وَتَحْمَدِينَهُ عَشْرًا وَتُكَبِّرِينَهُ عَشْرًا، ثُمَّ سَلِي حَاجَتَكِ فَإِنَّهُ يَقُولُ قَدْ فَعَلْتُ قَدْ فَعَلْتُ. (حم: ١٢٠/٣، ن: ٥١/١، ت: ٤٨١، واللفظ لأحمد: حسن على شرط مسلم).

وفي لفظ النسائي: ثُمَّ سَلِيهِ حَاجَتَكِ يَقُلْ نَعَمْ نَعَمْ. والترمذي فيه: «ثُمَّ سلي ما شئْت. يقولُ: نَعَمْ نَعَمْ». (وأخرجه الحاكم في المستدرك: ٣١٧/١ وصححه).

٢٥٧٢- عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَنْهُومَانِ لَا يَشْبَعَانِ: مَنْهُومٌ عِلْمٍ لَا يَشْبَعُ مِنْهُ، وَمَنْهُومٌ فِي الدُّنْيَا لَا يَشْبَعُ مِنْهَا». (الحاكم في المستدرك: ٩٢/١ وصححه).

٢٥٧٣- عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: لَمَّا حُمِلَتْ جَنَازَةُ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ قَالَ الْمُنَافِقُونَ: مَا أَخَفَّ جَنَازَتَهُ؟ وَذَلِكَ لِحُكْمِهِ فِي بَنِي قُرَيْظَةَ، فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: إِنَّ الْمَلَائِكَةَ كَانَتْ تَحْمِلُهُ. (ت: ٣٨٤٩، وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب).

٢٥٧٤- عن أنس رضي الله عنه قال: قالَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: ثلاثٌ لا يَزَلْنَ في أُمَّتي حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ: النِّيَاحَةُ وَالْمُفَاخَرَةُ في الأَنْسَابِ وَالأَنْوَاءِ. (أبو يعلى في مسنده: ح٣٩١١ صحيح).

٢٥٧٥- عن أَنَسٍ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَدْعُو بِهَذِهِ الدَّعَوَاتِ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لا يَنْفَعُ وَقَلْبٍ لا يَخْشَعُ وَدُعَاءٍ لا يُسْمَعُ وَنَفْسٍ لا تَشْبَعُ ثُمَّ يَقُولُ اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَؤُلاءِ الأَرْبَعِ. (حم: ١/٢٨٣، ن: ٨/٢٦٤، وهو حديث صحيح).

٢٥٧٦- عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلاةً وَاحِدَةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ عَشْرَ صَلَوَاتٍ وَحَطَّ عَنْهُ عَشْرَ خَطِيئَاتٍ. (البخاري في الأدب المفرد: ح٦٤٣، ن: ٣/٥٠، وزاد: «ورُفعت له عشر درجات»، والحديث حسن صحيح).

٢٥٧٧- عن أنس بْنُ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ الرِّسَالَةَ وَالنُّبُوَّةَ قَدْ انْقَطَعَتْ فَلا رَسُولَ بَعْدِي وَلا نَبِيَّ، قَالَ فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَى النَّاسِ، فَقَالَ: لَكِنْ الْمُبَشِّرَاتُ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا الْمُبَشِّرَاتُ؟ قَالَ: رُؤْيَا الْمُسْلِمِ وَهِيَ جُزْءٌ مِنْ أَجْزَاءِ النُّبُوَّةِ. (ت: ٢٢٧٢، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح غريب).

٢٥٧٨- عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلَّى الظُّهْرَ، ثُمَّ رَكِبَ رَاحِلَتَهُ فَلَمَّا عَلا عَلَى جَبَلِ الْبَيْدَاءِ أَهَلَّ. (د: ١٧٧٤، وهو حديث حسن صحيح).

٢٥٧٩- عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه عن النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: شَفَاعَتِي لأَهْلِ الْكَبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي. (حم: ٣/٢١٣، ت: ٢٤٣٥، وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه).

٢٥٨٠- عن بُرَيْدَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: الْعَهْدُ الَّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ الصَّلاةُ فَمَنْ تَرَكَهَا فَقَدْ كَفَرَ. (حم: ٥/٣٤٦، ت: ٢٦٢١، وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب، ولقد سبق بيان ما أخرجه مسلم من حديث جابر مرفوعًا: «إِنَّ بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ الشِّرْكِ وَالْكُفْرِ تَرْكَ الصَّلاةِ».

٢٥٨١- عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنهما عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: مَا أَسْكَرَ كَثِيرُهُ فَقَلِيلُهُ حَرَامٌ. (ت: ١٨٦٥، جه: ٣٣٩٣ حديث حسن صحيح).

٢٥٨٢- عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنهما عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: إِنَّ خَيْرَ مَا رُكِبَتْ إِلَيْهِ الرَّوَاحِلُ مَسْجِدِي هَذَا وَالْبَيْتُ الْعَتِيقُ. (حم: ٣/٣٥٠، وهو حديث حسن صحيح).

٢٥٨٣- عَنْ حُبْشِيِّ بْنِ جُنَادَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ سَأَلَ مِنْ غَيْرِ فَقْرٍ فَكَأَنَّمَا يَأْكُلُ الْجَمْرَ. (حم: ٤/١٦٥، وهو حديث حسن صحيح).

٢٥٨٤- عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُسْرٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: طُوبَى لِمَنْ وَجَدَ في صَحِيفَتِهِ اسْتِغْفَارًا كَثِيرًا. (جه: ٣٨١٨، وهو حديث حسن صحيح).

٢٥٨٥- عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُسْرٍ رضي الله عنه أَنَّ أَعْرَابِيًّا قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ خَيْرُ النَّاسِ؟ قَالَ: مَنْ طَالَ عُمُرُهُ وَحَسُنَ عَمَلُهُ. (ت: ٢٣٢٩، وقال: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه، وفي الباب عن أبي هريرة وجابر).



قصة أصحاب الكهف

الحلقة الثانية



إعداد/ عبدالرازق السيد عيد

أحمد ربي - سبحانه - وأصلي على إمام رسله وخاتم أنبيائه سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

قال الله تعالى: ﴿وَنَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى (١٣) وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لَن نَّدْعُوَ مِن دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا (١٤) هَؤُلاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً لَوْلا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ (الكهف: ١٣- ١٥).

أيها الأخ الكريم في اللقاء الماضي قدمنا عرضًا موجزًا للقصة كما قدمه لنا القرآن الكريم، والآن نبدأ معك في التفصيل كما فصَّل القرآن الكريم، وقد بدأ الحق تبارك وتعالى تفصيل القصة بقوله تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ﴾، وهذه البداية تحتاج منا أن نتأملها، فإن الله سبحانه هو الذي يقص الحق؛ لأن الله هو الحق، قال تعالى: ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ﴾ (الأنعام: ٥٧)، والله سبحانه يقص الحق؛ لأنه سبحانه هو الذي أحاط بكل شيء علمًا، قال تعالى: ﴿فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ﴾ (الأعراف: ٧)، ولهذا صُدرت الآية بـ«نحن» إشارة إلى عظمة الله سبحانه، وإشعارًا بشهود الله لجميع الأحداث واتصاله بها ووقوعها على عينه.

والله يقصُّ الحق الذي اختلف فيه أهل الكتاب قبلنا، ولذلك وجَّه خطابًا مباشرًا للنبي صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى: «عليك» بيانًا لما خصه الله به من الحق الذي اختلف فيه السابقون، قال تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ (النمل: ٧٦)، نعم يقص على بني إسرائيل ما اختلفوا فيه من أمر العقيدة والعبادة وأخبار السابقين، وقد اختلف أهل الكتاب في أصحاب الكهف اختلافات شتى، اختلفوا في أسمائهم، وفي أعمالهم، وفي ديانتهم - النصرانية أم اليهودية، وإن غلَّبوا أنهم نصارى - واختلفوا كذلك في عددهم، وسنوات رقادهم، وطريقة موتهم وغير ذلك.

وقد نقل لنا العلامة القاسمي جانبًا من هذا

الاختلاف في تفسيره، ننقله بإيجاز: قال رحمه الله: «وقد رأيت في كتاب – الكنز الثمين في أخبار القديسين – ترجمة عن أحوالهم تحت عنوان: «فيما يخصُّ السبعة القديسين الشهداء من أفسس»، ثم قال: أما نوع استشهادهم فليس بمعروف، فالبعض من الكتبة الكنائسيين يرتأون بأنه لما اختفى هؤلاء الفتية في تلك المغارة هربًا من الاضطهاد، عُرف أمرهم فأغلق عليهم باب المغارة بصخور عظيمة. وهكذا ماتوا فيها.

وغيرهم يرون أنهم قتلوا من أجل الإيمان في مدينة أفسس، وبعد موتهم نُقلت أجسادهم ودفنت في المغارة المذكورة، وآخرون يظنون أنهم حبسوا أنفسهم أحياء باختبائهم في المغارة المذكورة ليموتوا برضاهم هربًا من ذاك الاضطهاد الوحشي».

وغير ذلك من الاختلافات، وهذا شأن ما يرويه الإخباريون، وهذا هو الخلاف البين بين ما يقصه الحق سبحانه وبين ما يقصه البشر تمامًا، كالخلاف بين كلام الله وكلام البشر، وبين علم الله وعلم البشر، وقد صدق الله: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ (النمل:٧٦)، وصدق الله إذ قال: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ﴾.

ثانيًا: ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾.

نعم إنهم فتية من الشباب وليسوا من الشيوخ. قال ابن كثير – رحمه الله-: «إنهم فتية، وهم الشباب، وهم أقبل للحق، وأهدى للسبيل من الشيوخ الذين قد عتوا وانغمسوا في دين الباطل، ولهذا كان أكثر المستجيبين لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وسلم شبابًا، وأما المشايخ من قريش فعامتهم بقوا على دينهم ولم يسلم منهم إلا القليل، وهكذا أخبر تعالى عن أصحاب الكهف أنهم كانوا فتية شبابًا.

نعم صدق والله ابن كثير، فإن شباب الصحابة هم الذين تحملوا أعباء الجهاد في سبيل الله، فمنهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ومنهم سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، ومنهم أسامة بن زيد، وطلحة بن عبيد الله، والزبير بن العوام، وسعد بن معاذ، وسعد بن الربيع، وغيرهم كثير رضي الله عنهم أجمعين، ويكفي أن أول سفير للدعوة إلى الله كان من الشباب، وهو مصعب بن عمير رضي الله عنه، حيث بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أهل المدينة قارئًا للقرآن ومعلمًا للدين وداعيًا إلى الله، وعلى أكتاف شباب الصحابة حُفظ القرآن ونُشر العلم، ومن أبرز من قام بذلك عبدالله بن مسعود، ومعاذ بن جبل، وزيد بن ثابت، وعبد الله بن عمر، وابن عباس رضي الله عن الجميع.

وهكذا قامت الدعوة على سواعد الشباب من الصحابة علمًا وتعليمًا وقيادة في مساحات الجهاد.

ثالثًا: ﴿وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾.

قال الإمام ابن كثير – رحمه الله-: استدل بهذه الآية وأمثالها غير واحد من الأئمة كالبخاري وغيره ممن ذهب إلى زيادة الإيمان وتفاضله، وأنه يزيد وينقص». اهـ.

ونحن نقول: نعم، هذه عقيدة أهل السنة والجماعة أن الإيمان قول وعمل، يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية، وتفصيل ذلك في كُتب الأصول فليرجع إليها من يريد، والمقصود أن هؤلاء الفتية آمنوا بالله واعترفوا له بالوحدانية، فألهمهم الله رشدهم، وآتاهم تقواهم، وزادهم إيمانًا على إيمانهم.

رابعًا: ﴿وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾.

(الربط): أصله الشدُّ والحزم، ويراد به هناك الثبات والعزم القوي تجاه ما عزموا عليه من مخالفة قومهم فيما ذهبوا إليه من شرك، والذي أمدَّهم بهذا المدد هو الله الذي له ملك السماوات والأرض، وهو سبحانه على كل شيء شهيد.

قال الإمام القرطبي – رحمه الله – في تفسيره: ﴿وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ عبارة عن شدّ عزم وقوة صبر أعطاهم الله لهم حتى قالوا بين الكفار: ﴿رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا﴾ (الكهف:١٤).

وقال العلامة الشنقيطي – رحمه الله-: ويُفهم من هذه الآية أن من صدق في طاعة ربه – جل وعلا – يقوّي الله قلبه ويثبته، وهكذا يفعل الله بأوليائه، قال الله تعالى عن أم موسى: ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (القصص:١٠). وقال تعالى مخاطبًا نبيه محمدًا صلى الله عليه وسلم وصحبه: ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ﴾ (الأنفال: ١١). انتهى كلامه بتصرف يسير.

وقال الإمام ابن كثير – رحمه الله-: ﴿وَرَبَطْنَا عَلَى

قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾، يقول تعالى: وصبرناهم على مخالفة قومهم ومفارقة ما كانوا عليه من العيش الرغيد والسعادة والنعمة، فقد ذكر غير واحد من السلف والخلف أنهم كانوا من أبناء ملوك الروم وسادتهم، وقد فارقوا قومهم الذين كانوا يعبدون الأصنام والطواغيت، ويذبحون لها، وكان لهم ملك جبار يأمر الناس بذلك، ولما خرج الناس يومًا في بعض أعيادهم خرج هؤلاء الفتية مع آبائهم وقومهم، ونظروا إلى ما يصنع قومهم من السجود والذبح لغير الله تعالى». اهـ.

عرفوا أن هذا لا ينبغي إلا لله خالق السماوات والأرض، فانحاز كل من الفتية عنهم، أي اعتزلوهم وما يعبدون إلا الله، فتحاوروا فيما بينهم، واتفقوا أن الذي يستحق العبادة هو الله وحده لا شريك له، وأن قولهم بمقالة قومهم هو نوع من الشطط، وهو البعد عن الحق والانحراف الواضح عنه، فتواصوا فيما بينهم بالحق الذي هداهم الله إليه، وجمع قلوبهم عليه بقدرتهم، فصاروا يدًا واحدة على الحق، واتخذوا لهم مَعْبدًا حتى إذا علم الملك بأمرهم واجهوه بالحقيقة التي آمنوا بها، ولهذا أخبر الله عنهم بقوله سبحانه: ﴿وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا﴾ أي إن فعلنا كما تفعلون وقلنا كما تقولون بعبادة غير الله ودعوة الأصنام والطواغيت من دون الله، فإننا نكون قد فعلنا فعلاً منكرًا، وقلنا قولاً باطلاً وكذبًا وبهتانًا.

خامسًا: ﴿هَؤُلاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَوْلا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾.

عاب الفتية على قومهم ما فعلوه من اتخاذ آلهة يعبدونها من دون الله، واستنكروا هذا الفعل الشنيع من قومهم.

هي قاعدة احفظوها أيها القراء الكرام، ألا وهي أن من ترك عبادة الله الواحد الأحد الفرد الصمد عَبَدَ من دونه آلهة ولا بد؛ لأنه حينئذ يتبع هواه، فيومًا يعبد صنمًا من خشب صنعه بيده، ويومًا آخر يعبد صنمًا من حجر، وهناك من كان يعبد صنمًا من عجوة يحمله معه في سفره، فإن جاع أكله؛ ثم يعود يصنع إلهًا آخر، فتتعدد الآلهة بتعدد الأهواء والمشارب، فقد يتخذ الناس عجلاً من لحم ودم يعبدونه من دون الله، وقد يصنعون عجلاً من ذهب ويقولون كما قال بنو إسرائيل: ﴿هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ﴾، وعندما يُعبَد الهوى يُفسد المنهج ولا يملك صاحب الهوى دليلاً على ما يقول إلا ما أُشرب من هواه.

ومن هنا قال الفتية قولتهم الخالدة: ﴿لَوْلا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ﴾، أي: هلا أتى قومنا على آلهتهم التي يزعمونها من دون الله بدليل واضح، وأنى لهم الدليل! هم لا يملكونه؛ لأنه لا وجود له أصلاً إلا في عقولهم السقيمة وهواهم المريض، وهذا من أظلم الظلم وأقبح الكذب على الله سبحانه وتعالى: ﴿يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ (٣٩) مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلاَّ أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ أَمَرَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾ (يوسف: ٣٩، ٤٠).

وقديمًا أقام يوسف عليه السلام على قومه الحجة من هذا الباب، ودخل عليهم من هذا المدخل، فلم يحيروا جوابًا، فقال عليه السلام وهو يخاطب صاحبيه في السجن: ﴿يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ (٣٩) مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلاَّ أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ أَمَرَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾ (يوسف: ٣٩- ٤٠)، ولقد أولى القرآن الكريم هذه القضية - قضية التوحيد - اهتمامًا بالغًا مفندًا مزاعم المشركين ومنكرًا عليهم ما ذهبوا إليه من اتخاذ الأنداد من دون الله؛ لأن قضية التوحيد هي التي يصلح عليها أمر الدنيا والآخرة، لذا أولاها النبي صلى الله عليه وسلم جلَّ اهتمامه، وبدأ بها دعوته وأسس عليها رسالته، فهنيئًا لمن عاش عليها ومات عليها، قال الله تعالى: ﴿أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾ (النمل: ٦٠).

فلينهض الدعاة إلى الله إلى ترسيخ هذه العقيدة في نفوس الناس، وتصحيح مفهوم العبادة الحقة لله رب العالمين، إن راموا إصلاحًا للنفوس والمجتمعات، بل للعالم بأسره، بل للدنيا والآخرة.

وللحديث بقية، إن شاء الله تعالى، والحمد لله رب العالمين.

طرق الدلالة (٣)

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

دلالة اللفظ على المعنى تنقسم إلى أربعة أقسام: دلالة العبارة، ودلالة الإشارة، ودلالة النص، ودلالة الاقتضاء.

تكلمنا عن دلالة العبارة، ودلالة الإشارة وذكرنا لها بعض الأمثلة، ونستأنف الكلام منها بإذن الله تعالى:

المثال الخامس:

قوله تعالى: ﴿وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ (البقرة: ٢٣٣).

دلالة العبارة: أن نفقة الوالدات من رزق وكسوة واجبة على الآباء إذا طلق امرأته وله ولد رضيع، فإن قوله تعالى: ﴿رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ﴾ تعود على الوالدات.

«بالمعروف»: بما يجب لمثلها على مثله، إذا كان الله تعالى ذكره، قد علم تفاوت أحوال خلقه بالغنى والفقر، وأن منهم الموسع والمقتر وبين ذلك.

دلالة الإشارة: - أن الأب لا يشاركه أحد في وجوب النفقة لولده عليه.

- أن النسب للآباء، يقول الراغب الأصفهاني في قوله تعالى: ﴿وَعَلَى الْمَوْلُودِ﴾ أي الأب، وفائدة تخصيصه بهذا الوصف دون لفظ الأب، تنبيه أن الابن في الحكم للأب، وأن حظ الأم فيه يقل، وعلى ذلك دل الشاعر:

وإنما أمهاتُ الناس أوعيةٌ
مستودعاتٌ وللأحساب آباءُ

(تفسير الراغب الأصفهاني ١/٤٨٢).

- يقول السعدي في قوله تعالى: ﴿الْمَوْلُودِ لَهُ﴾: أن الولد لأبيه لأنه موهوب له، ولأنه من كسبه، فلذلك جاز له الأخذ من ماله رضي أو لم يرض، بخلاف الأم. (تفسير السعدي ١/١٠٤).

فائدة: حديث جابر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم: أنت ومالك لأبيك. (سنن ابن ماجه وصححه الألباني إرواء الغليل).

- وكذلك حديث عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم: إن أطيب ما أكلتم من كسبكم، وإن أولادكم من كسبكم. (صحيح سنن الترمذي وغيره).

الحديثان ظاهرهما أن مال الابن ملك للأب

السؤال: هل للأب أن يأخذ من مال ابنه ما يشاء؟

- أجاب الشيخ ابن عثيمين بالتفصيل التالي: «الإنسان إذا كان له مال فإن لأبيه أن يتبسط بهذا المال، وأن يأخذ من هذا المال ما يشاء لكن بشروط:

الشرط الأول: ألا يكون في أخذه ضرر على الابن، فإن كان في أخذه ضرر - كما لو أخذ غطاءه الذي يتغطى به من البرد أو أخذ طعامه الذي يدفع به جوعه - فإن ذلك لا يجوز للأب.

الشرط الثاني: أن لا تتعلق به حاجة للابن.. فلو كان للابن سيارة يحتاجها في ذهابه وإيابه، وليس لديه من الدراهم ما يمكنه أن يشتري بدلها، فليس له أن يأخذها بأي حال.

الشرط الثالث: ألا يأخذ المال من أحد أبنائه ليعطيه لابن آخر؛ لأن في ذلك إلقاء للعداوة بين الأبناء، ولأن فيه تفضيلاً لبعض الأبناء على بعض، إذا لم يكن الثاني محتاجًا، فإن كان محتاجًا فإن إعطاء الأب أحد الأبناء لحاجة دون إخوته الذين لا يحتاجون، ليس فيه تفضيل، بل هو واجب عليه». (فتاوى إسلامية، جمع وترتيب محمد بن عبد العزيز بن عبد الله المسند: ٤/١٠٨، ١٠٩).

المثال السادس: قوله تعالى: ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ (آل عمران: ١٥٩).

دلالة العبارة: تجاوز عن أتباعك وأصحابك من المؤمنين بك وبما جئت به من عندي ما نالك من أذاهم

في فهم النص



إعداد/ متولي البراجيلي

ومكروه في نفسك.

- «واستغفر لهم» وادع ربك لهم بالمغفرة.

- «وشاورهم في الأمر»: استطابة لأنفسهم، ولكي يستنّ به من بعده من أولياء الأمور، فالنبي صلى الله عليه وسلم مؤيَّد بالوحي، وأمره الله بالمشاورة، فما بالك بمن هو ليس مؤيدًا بالوحي، فإن المشاورة في حقه أولى.

يقول الطبري: أمر الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم أن يشاور أصحابه في الأمور، وهو يأتيه وحي السماء؛ لأنه أطيب لأنفس القوم، إذا شاور بعضهم بعضًا وأرادوا بذلك وجه الله، عزم لهم على أرشده. (تفسير الطبري: ٣٤٤/٧).

فائدة: في أهمية الشورى:

يقول الماوردي في قوله تعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾: وفي أمره بالمشورة أربعة أقاويل:

أحدها: أن أمره بمشاورتهم في الحرب ليستقر له الرأي الصحيح فيه، قال الحسن: ما شاور قوم قطّ إلاّ هُدوا لأرشد أمورهم.

والثاني: أنه أمره بمشاورتهم تأليفًا لهم وتطييبًا لأنفسهم، وهذا قول قتادة، والربيع.

والثالث: أنه أمر بمشاورتهم لما علم فيها من الفضل، ولتأسي أمته بذلك بعده صلى الله عليه وسلم، وهذا قول الضحاك.

والرابع: أنه أمره بمشاورتهم ليستنّ به المسلمون ويتبعه فيها المؤمنون، وإن كان عن مشورتهم غنيًّا، وهذا قول سفيان. (تفسير الماوردي: النكت والعيون ٤٣٣/١).

- وإذ أرشد القرآن إلى التشاور في أدنى الأعمال من الرضاع وتربية الولد في قوله تعالى: ﴿فَإِنْ أَرَادَا فِصَالاً عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِمَا﴾ (البقرة: ٢٣٣).

فهو مطلوب بالأولى في أجلّ الأعمال خطرًا وأعظمها فائدة، وهي مشورة الحكام في مصالح الأمة، فقد أمر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم بمشاورة أصحابه قائلاً: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾، ومدح المؤمنين بقوله تعالى: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ﴾ (الشورى: ٤٢). (التفسير المنير للزحيلي ٣٦٦/٢).

ثالثًا: دلالة النص:

هي دلالة النص على ثبوت حكم المنطوق به للمسكوت عنه لاشتراكهما في علة يفهمها كل عارف باللغة فهمًا متبادرًا لا يحتاج إلى تأمل وبحث، والعلة هنا ليست خفية ولا تحتاج إلى الاجتهاد والتأمل.

وفي تعريف مختصر لدلالة النص: هي الجمع بين المنصوص وغير المنصوص بالمعنى اللغوي.

وسميت بدلالة النص؛ لأن الحكم الثابت بها لا يُفهم من اللفظ كما في عبارة النص أو إشارته، وإنما يُفهم من طريقه علة الحكم، وذلك بأن يرد نصٌّ شرعي يدل بلفظه على حكم، وهذا الحكم يكون لعلة يعرفها العارف باللغة، ويوجد شيء آخر سكت عنه النص ولم يذكره، لكنه يشترك مع المنصوص عليه في ذات العلة، فيثبت حكم المسكوت عنه للمنطوق به.

فدلالة النص تعتمد على العلة، وهي القرينة التي تنقل الحكم من المنطوق به للمسكوت عنه.

فالعلة بهذا قرينة تبين وجود اشتراك بين المنطوق به والمسكوت عنه في المعنى الذي من أجله شرع الحكم.

- وبالتالي يثبت للمسكوت عنه - من خلال هذه القرينة (العلة) - حكم المنطوق به.

- وهذه العلة هي في حقيقتها قرينة لفظية بارزة تُفهم بمجرد معرفة اللغة، وليست من نوع العلة التي تمثل أحد أركان القياس - بل هي أهم أركانه - وتحتاج في استنباطها وإعمالها إلى اجتهاد. (كشف الأسرار للبخاري ٧٣/١، تيسير علم أصول الفقه للجديع ٣١٤/١، المطلق والمقيد للصاعدي ٢٦٣/١، السياق وأثره في دلالة الألفاظ د. عبد المجيد السوسوة ٨٢، ٨٣).

فوائد:

١- لدلالة النص التي نحن بصدد بحثها مسميات متعددة، ينبغي معرفتها؛ لأن بعض الأصوليين قد يستخدم واحدًا من هذه الأسماء دون غيره.

الاسم الأول: مفهوم الموافقة، وهذا عند الشافعية وجمهور العلماء.

الاسم الثاني: دلالة النص، وهذا عند الحنفية - كما بينا

قبل ذلك - ويقصدون بهذا ما ثبت بمعنى النص لا اجتهادًا ولا استنباطًا.

الاسم الثالث: دلالة الدلالة، وهذا عند بعض العلماء، ووجه ذلك أن الحكم فيها يؤخذ من معنى النص، لا من لفظه.

- وهناك أسماء أخرى عند الأصوليين: مفهوم الخطاب، القياس الجلي (وهذا عند الإمام الشافعي) دلالة التنبيه الأولى، فحوى اللفظ، لحن الخطاب.

٢- الفرق بين العلة في دلالة النص والعلة في القياس:

العلة في دلالة النص قطعية، وهي قرينة لفظية بارزة، يفهمها كل من كان عارفًا باللغة، أما العلة - وهي ركن القياس الأهم - فهذه قد تكون ظنية وخفية تحتاج إلى بحث واستنباط وشروط لا تتوافر إلا فيمن كان من أهل الاجتهاد.

أمثلة: المثال الأول: في قوله تعالى: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاَهُمَا فَلاَ تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا﴾ (الإسراء: ٢٣).

دلالة العبارة: تدل على وجوب التذلل للوالدين وطاعتهما، وتحريم التأفف من الوالدين لما فيه من الأذى.

دلالة النص: تحريم ضرب الوالدين وشتمهما، لأنه أشد إيذاءً للوالدين من التأفف، فيكون الحكم في المسكوت عنه أولى من ثبوته للمنصوص عليه؛ لأن العلة أقوى في الأول من الثاني: فكل عارف باللغة العربية، يدرك أن المعنى الذي كان من أجله تحريم (أف) هو كف الأذى عن الوالدين، وهذا المعنى موجود في الضرب والشتم، وما أشبه ذلك، فينقاد لها النص، وتُعدّ حرامًا، فتعطى حكم التأفيف الذي ثبت بعبارة النص، ويكون ثبوت التحريم فيها بدلالة النص. (تفسير النصوص في الفقه الإسلامي، لمحمد أديب صالح: ٥١٩/١).

فوائد: إلحاق المسكوت عنه في الآية: وهو الضرب والسباب ونحوهما بالمنطوق به ﴿فَلاَ تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ﴾ (الإسراء:٢٣) هو نوع من القياس الجلي، ويسميه الشافعي رحمه الله: القياس في معنى الأصل.

وأكثر أهل الأصول لا يطلقون عليه اسم القياس، مع أنه إلحاق مسكوت عنه بمنطوق به لعدم الفرق بينهما: أعني الفرق المؤثر في الحكم. (أضوء البيان ١٤٧/٣).

٢- أهل الظاهر لا يقولون إلا بظاهر النص، ويقولون: إن ما سكت عنه الشارع فهو عفو، وهذا إن صح في بعض النصوص فلا يصح في جميعها.

يقول الشيخ الشنقيطي: اعلم أنّا نقول بموجب الأحاديث التي استدل بها الظاهر على أن ما سكت عنه الشارع فهو عفو، ونقول مثلاً: إن صوم شهر آخر غير رمضان لم يُوجَب علينا فهو عفو.

ولكن لا نسلّم أن آية: ﴿فَلاَ تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ﴾ (الإسراء:٢٣)، ساكتة عن تحريم ضرب الوالدين، بل نقول هي دالة عليه، وادّعاء أنها لم تتعرض لذلك باطل كما ترى.

ولا نقول: إن آية: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ الآية (الزلزلة:٧)، ساكتة عن مؤاخذة من عمل مثقال جبل، بل هي دالة على المؤاخذة بذلك. (أضواء البيان ٢٢٨/٤).

المثال الثاني: قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ (النساء:١٠).

دلالة العبارة: حرمة أكل أموال اليتامى، وهذا هو المنطوق.

دلالة النص: تحريم إغراقها وإحراقها، وهذا هو المسكوت عنه، فنبّه بالمنع من الأكل على كل ما يساويه في الإتلاف.

- وننبه إلى أن «دلالة النص» تُسمّى بـ«القياس» تجوزًا لوجود معناه فيها، وإن كان فهم الدلالة لا يتوقف على اجتهاد، كما في أنواع القياس المختلفة.

المثال الثالث: قوله تعالى: ﴿فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلاَ رَفَثَ وَلاَ فُسُوقَ وَلاَ جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾ (البقرة:١٩٧).

دلالة العبارة: يحرم على المحرم باتفاق العلماء وإجماع الأمة: الجماع ودواعيه الفعلية أو القولية، وقضاء الشهوة بأي طريقة.

والجماع أشد المحظورات خطرًا؛ لأنه يؤدي إلى فساد النُّسُك.

(والرفث) في الآية: هو ما قيل عن النساء من ذكر الجماع وقول الفحش، وثبت ذلك عن ابن عباس رضي الله عنهما.

وفُسّر (الرفث) بالجماع أيضًا، ونُسب ذلك إلى جماعة من السلف منهم ابن عباس وابن عمر رضي الله عنهم.

دلالة النص: على التفسير الأول بأن (الرفث) هو ما يقال عند دواعي الجماع وما شابه ذلك، فتكون الآية دليلاً على تحريم الجماع على المُحرم بطريق دلالة النص (أي من باب الأولى)، لأنه إذا حرم ما دون الجماع، كان تحريمه معلومًا بطريق الأولى. (الموسوعة الفقهية: ١٦٨/٢ بتصرف).

فوائد:

١- في قوله تعالى: ﴿فَلاَ رَفَثَ وَلاَ فُسُوقَ وَلاَ جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾ (البقرة:١٩٧)، صيغة خبر جاءت بمعنى النهي (أي الإنشاء)، أي إن النفي معناه النهي، فتكون بمعنى: لا ترفثوا، ولا تفسقوا، ولا تجادلوا.

٢- في قوله تعالى: ﴿فَلاَ رَفَثَ وَلاَ فُسُوقَ وَلاَ جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾ (البقرة:١٩٧)، فهل يجوز – بمفهوم المخالفة – إتيان هذه الثلاثة في غير الحج.

أولاً: الرفث: جاء على تفسيرين؛ القول الأول: الجماع نفسه. القول الثاني: دواعي الجماع التي تكون بين الرجل وزوجته قبل الجماع، فعلى التفسيرين يكون النهي هنا مختصًا بأيام الحج فقط؛ لجواز الجماع ودواعيه في غير أيام الحج.

ثانيًا: الفسوق: ورد أيضًا على تفسيرين: الأول: المعاصي كلها. القول الثاني: ما يقع من معاصي الله الخاصة بالحج كالصيد وحلق الشعر وتقليم الأظفار، ونحو ذلك. (والراجح القول الأول).

فإن كان بمعنى المعاصي كلها، فلا شك أنها منهي عنها في جميع السنة، في الحج وغيره، إلا أن النهي في الأشهر الحرم آكد، ولهذا قال الله تعالى: ﴿مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلاَ تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ﴾ (التوبة:٣٦).

وقال في الحرم: ﴿وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ (الحج:٢٥).

ثالثًا: الجدال: ورد أيضًا على تفسيرين: القول الأول: لا مجادلة في وقت الحج في مناسكه، وقد بينه الله أتم بيان وأوضحه أكمل إيضاح، القول الثاني: المخاصمة (والقول الثاني هو الراجح).

فإن كان في المعنى الأول فيكون النهي هنا خاصًا بأيام الحج، وإن كان بالمعنى الثاني: فإن الجدال والمراء الذي يؤدي إلى التشاحن والبغضاء مذموم في كل العام، لكن يكون في أيام الحج أشد في النهي.

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إن كان بضوابطه، وعن علم لما يأمر به وينهى عنه، فهو ليس من الجدال المنهي عنه في الآية.

المثال الرابع: قوله تعالى: ﴿فَإِذَا أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ﴾ (النساء:٢٥).

دلالة العبارة: أن الأمة إذا زنت بعد إحصانها فإن عليها نصف ما على المحصنات من العذاب، أي خمسين جلدة؛ لأن الرجم لا يتجزأ، وبالتالي خرج من العقوبة في الآية.

دلالة النص: أن العبد إذا زنى فإنه يُجلد أيضًا خمسين جلدة؛ لأن الأنوثة وصف ألغاه الشارع في الحدود، ونحوها، فيستوي فيه الذكر والأنثى.

- اختلفوا في معنى «أحصن» في الآية، هل هي الإسلام، أم الزواج، على قولين؛ قال الشنقيطي: «فإذا أحصن» أي: فإذا تزوجن.

وقول من قال من العلماء: أن المراد بالإحصان في قوله: «فإذا أحصن»: الإسلام خلافُ الظاهر من سياق الآية، لأن سياق الآية في الفتيات المؤمنات، حيث قال: ﴿وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلاً﴾ (النساء:٢٥).

قال ابن كثير في تفسير هذه الآية، ما نصُّه: والأظهر والله أعلم أن المراد بالإحصان هاهنا التزويج؛ لأن سياق الآية يدل عليه، حيث يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلاً أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ﴾ (النساء:٢٥). والله أعلم.

والآية الكريمة سياقها في الفتيات المؤمنات، فتيقن أن المراد بقوله: «فإذا أحصن»: أي فتزوجنَّ كما فسره ابن عباس وغيره. (أضواء البيان ١/٢٣٣).

قال البغوي: وإن المراد منه (الإحصان) التزويج، فليس المراد منه أن التزويج شرط لوجوب الحد عليه، بل المراد التنبيه على أن المملوك وإن كان محصنًا بالتزويج فلا رجم عليه، فإنما حدُّه الجلد بخلاف الحر. (تفسير البغوي ١/٦٠٠).

ويشهد لذلك ما رواه مسلم في صحيحه عن علي رضي الله عنه أنه خطب فقال: «يا أيها الناس أقيموا على أرقائكم الحد من أحصن منهم ومن لم يحصن...» (مسلم ١٧٠٥) الحديث.

فائدة: كلمة «الحصانة» تطلق على عدة معان:

١- العفة: كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلاَتِ﴾ (النور:٢٣) أي: العفيفات.

٢- الزواج: كما في قوله تعالى: ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ﴾ (النساء:٢٤) عطفًا على قوله: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ﴾ (النساء:٢٣) أي: حُرِّم عليكم نكاح ذوات الأزواج فهن محصنات بأزواجهن.

٣- الحرية: كما في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلاً أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ﴾ (النساء:٢٥) أي الحرائر.

٤- الإسلام: كما في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ﴾ (النساء:٢٥).

وهذا على من فسَّر الإحصان في الآية بالإسلام، وهذا قول ابن عباس وابن عمر وأنس وغيرهم، وروى نحوه الزهري عن عمر بن الخطاب. (الموسوعة الفقهية: ٣٠/١٦٤).

(ملحوظة: رواية الزهري عن عمر بن الخطاب منقطعة).

وللحديث بقية، والحمد لله رب العالمين.

أقوال العلماء

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد:

كل ما نقله الكاتب الدكتور/ محمد سيد طنطاوي - رحمه الله - في كتابه معاملات البنوك وأحكامها الشرعية تحت هذا العنوان بدءًا بالطبري، وانتهاء بالنووي يتصل بالربا أضعافًا مضاعفة، باستثناء نقل واحد فقط، وهو عن الجصاص، فهؤلاء الأئمة يتحدثون عن قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً﴾ (آل عمران: ١٣٠).

فقد نقل عن الطبري هنا قوله: «وكل أكلهم ذلك في جاهليتهم: أن الرجل منهم كان يكون له على الرجل مال إلى أجل، فإذا حل الأجل طلبه من صاحبه، فيقول له الذي عليه المال: أخر عني دينك وأزيدك على مالك، فيفعلان ذلك، فذلك هو الربا أضعافًا مضاعفة».



«كانوا يبيعون البيع إلى أجل، فإذا حل الأجل زادوا في الثمن على أن يؤخروا، فأنزل الله تعالى هذه الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً﴾ (آل عمران: ١٣٠).

وقول مجاهد هنا يفسر لنا منشأ الدَّين، فهو ثمن لبيع آجل، وليس قرضًا حسنًا كما ذكر بعض الكاتبين، وسيأتي بيان قروض الجاهلية.

وأقوال الأئمة التي نقلت في تحريم الربا أضعافًا مضاعفة لا تعني أنهم يحلون الربا في غير هذه الحالة، لأن التقييد بقوله تعالى: ﴿أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً﴾ (آل عمران: ١٣٠) ليس المقصود منه النهي عن أكل الربا في حال المضاعفة خاصة، وإباحته في غيرها، فالربا قليله وكثيره حرام. إلخ.

ونترك النقول الكثيرة التي تتحدث عن الربا أضعافًا مضاعفة، ونأتي إلى ما نقل عن الجصاص حيث قال: والربا الذي كانت العرب تعرفه وتفعله إنما كان قرض الدراهم والدنانير إلى أجل بزيادة على مقدار ما استقرض، على ما يتراضون به.

ويضاف إلى هذا أيضًا قول الجصاص في أحكام القرآن (٤٦٧/١): «معلوم أن ربا الجاهلية إنما كان قرضًا مؤجلاً بزيادة مشروطة، فكانت الزيادة بدلاً من الأجل، فأبطله الله تعالى وحرمه».

وكلام الجصاص يبين غير الصورة المذكورة من قبل: فالربا هنا عقد قرض، والزيادة المشروطة متفق عليها من بداية العقد، وليس بعد حلول الأجل، وهي بالتراضي بين المتعاقدين، وكلمات: «تعرفه وتفعله»، و«معلوم» مع قوله: «إنما...» التي تفيد الحصر، يبين أن هذا هو ربا الجاهلية الشائع المنتشر، وهذا أمر يدركه من يدرس البيئة الاقتصادية عند العرب، فقد كان القرض الربوي طريقًا من طرق الاستثمار عندهم، إلى جانب المضاربة.

ويوضح هذا أيضًا ما جاء في تفسير الطبري عند قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (البقرة: ٢٧٨)، حيث روى السدي قال: «نزلت هذه الآية في العباس بن عبد المطلب، ورجل من بني المغيرة، كانا شريكين في الجاهلية يسلفان في الربا إلى أناس من ثقيف». فهذه شركة اتخذت من السلف في الربا طريقًا للاستثمار، كالبنوك الربوية في عصرنا، ومعلوم أن العباس كان يستثمر أيضًا عن طريق المضاربة.



في ربا الجاهلية

إعداد: د/ علي أحمد السالوس
أستاذ فخري في المعاملات المالية والاقتصاد الإسلامي بجامعة قطر

ولكن لماذا حصر الجصاص ربا الجاهلية في هذه الصورة، ولم يذكر مثلاً رواية مجاهد في سبب نزول قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً﴾ (آل عمران: ١٣٠).

يبدو لي – والله سبحانه أعلم – أن السبب هو أن العقد بدأ بيعًا آجلاً فليس فيه ربا، وإنما طرأ الربا على عقد البيع عند حلول الأجل، فلم يكن الاتفاق والتراضي على الربا من بداية العقد، وإنما الأصل أن يبدأ العقد بتسليم المبيع وينتهي بتسليم الثمن في موعده دون ربا، أما الزيادة المشروطة في القروض فالاتفاق عليها من بداية التعاقد.



ويمكن أن يضاف إلى أقوال العلماء في ربا الجاهلية قول الفخر الرازي في تفسيره (٩٢/٤): «ربا النسيئة هو الأمر الذي كان مشهورًا متعارفًا في الجاهلية، وذلك أنهم كانوا يدفعون المال على أن يأخذوا كل شهر قدرًا معينًا، ويكون رأس المال باقيًا ثم إذا دخل الدَّين طالبوا المدين برأس المال، فإذا تعذر عليه الأداء زادوا في الحق والأجل، فهذا هو الربا الذي كانوا في الجاهلية يتعاملون به».

ومثله قول ابن حجر الهيثمي، وهو يبين أن الفوائد الربوية تقسط أقساطًا شهرية، والاتفاق عليها من بداية العقد، وعند حلول الأجل قد يزاد على الدين مثلما رأينا في الدين الناشئ عن البيع الآجل.

ونلاحظ أن كثيرًا من البنوك الربوية تلجأ إلى مثل هذا التقسيط، وذلك فيما يسمى بالودائع ذات الراتب الشهري أو ذات العائد الشهري، فنسبة الفوائد الربوية السنوية تقسمها على الأشهر، وتدفع هذه الزيادة كل شهر، ورأس المال باقٍ بحاله.

وبهذا يتم استيفاء صور الربا الجاهلي، وتكون أقوال العلماء المذكورة كافية، بل يكون ما يجري الآن من تعامل سبق بيان حكمه، وأنه داخل في الربا المحرم، وليس صورًا مستحدثة كما يذهب بعضهم.

شبهة لا محل لها:

ثم قال الكاتب: «ومن كل هذه النصوص، يتبين لنا بوضوح: أن العلماء على اختلاف مذاهبهم، قد وجدوا بعبارات متقاربة، أن الربا الذي كان فاشيًا في الجاهلية، ونزل القرآن بتحريمه: أن يكون لشخص على آخر مائة جنيه – مثلاً – لأجل معين، فإذا حل موعد السداد وعجز المدين عن السداد قال له الدائن: إما أن تدفع وإما أن تربي».

قال: «فهذا هو الربا الجلي الصريح»، وأخذ يتحدث عن هذا القرض الحَسن، والعمل الطيب الذي تحول إلى الربا المحرم.

وواضح من النقول السالفة عن الجصاص والفخر الرازي بيان الصور المختلفة لربا الجاهلية، وأن صورة القرض الحَسن المذكورة، وتحوله إلى الربا، لم يكن من بين صور الربا الجاهلي أصلاً، فضلاً عن أن يكون هو الربا الذي كان فاشيًا، وقد نبهت إلى مثل هذا الخطأ من قبل عند بعض الكاتبين، فالقروض في الجاهلية الأولى كانت للاستثمار، ولذلك كانت بفوائد ربوية ولم تكن قروضًا حسنة، وهو ما تفعله البنوك الربوية المعاصرة في صور شهادات متنوعة الآجال والفوائد المحددة.

ليس في الفقه الإسلامي عقد اسمه استثمار، وإنما هناك طرق استثمار مشروعة، ولها ضوابطها الشرعية، وطرق استثمار محرمة

الفرق بين القروض والديون والودائع والاستثمار

دُعيت لإلقاء بعض المحاضرات العامة وخطبة الجمعة في البحرين، وتحدثت عن مواطن الربا في المعاملات المعاصرة، وموقف المسلم من اختلاف الفقهاء، وطرق الاستثمار: الحلال منها والحرام، وجاء مندوب صحيفة ليأخذ حديثًا لينشره، وسألني أسئلة عدة كان منها:

ما الفرق بين عقد القرض والدَّيْن، والوديعة والاستثمار؟

فبينت له خطأ السؤال، فليس في الفقه الإسلامي عقد اسمه استثمار، وإنما هناك طرق استثمار مشروعة، ولها ضوابطها الشرعية، وطرق استثمار محرمة، ولذلك لا يجوز أن نجعل الاستثمار شيئًا واحدًا، نحكم عليه بالحل أو الحرمة، وإنما لا بد من أن يكون الحكم على كل طريقة من طرق الاستثمار، ولكن كاتبنا جعل الاستثمار عقدًا واحدًا، له اصطلاح فقهي يدل على أنه حلال!

هكذا لأول مرة في تاريخ الدراسات الفقهية!! والأشد غرابة وعجبًا أن عدَّ الكاتب هذا تصحيحًا لخطأ كبير، وفهم سقيم وقع فيه أئمتنا الأعلام، ومشايخنا الكرام والمجامع الإسلامية الثلاثة جميعها، وكل المؤتمرات في مشارق الأرض ومغاربها التي بحثت معاملات البنوك، كل هؤلاء جهلوا اللغة والفقه معًا فلم يضعوا الألفاظ الأربعة في الموضع الصحيح!!

ولننظر فيما كتب نظرة علمية مجردة، سائلين الله تعالى أن يرينا جميعًا الحق حقًّا ويرزقنا اتباعه، والباطل باطلاً ويرزقنا اجتنابه.

قال الكاتب في نهاية حديثه عن القرض:

«ومن ذلك يتبين لنا أن لفظ القرض قد عبَّر عنه القرآن الكريم بمعنى مجازي بديع، وهو الإحسان إلى الفقراء والمحتاجين والغارمين.

وجاءت الأحاديث النبوية، والمعاجم اللغوية، فاستعملت لفظ القرض في معناه الحقيقي وهو معاونة الغير عن طريق إعطائه ما هو في حاجة إليه من أموال على سبيل السلف إلى وقت معين». اهـ.

وقول الكاتب هذا صحيح، ولكن ينقصه شيء مهم جدًّا، بيّنه قول الحق - تبارك وتعالى -، فحديث القرآن الكريم عن القرض جاء في ست آيات كلها بلا استثناء جاءت بلفظ: ﴿قَرْضًا حَسَنًا﴾.

فكلامه يحتاج إلى إضافة بيانية وهي: أن المقصود هنا القرض الذي يرضاه الله عز وجل ورسوله صلى الله عليه وسلم، وهو القرض الحسن الذي أجمعت الأمة على استحبابه.

وهذا يستدعي إضافة أخرى، وهي بيان القرض غير الحسن.

وتحدث الكاتب عنه في موضع آخر فقال:

القاعدة الشرعية تقول: «كل قرض جر نفعًا فهو ربا»، أي كل قرض اشترط صاحبه على المقترض منه أن يرده إليه زائدًا عن أصله، فهذه الزيادة ربا. اهـ.

إذن فالحديث عن القرض يستدعي بيان القرض الحسن، والقرض غير الحسن، وهو القرض الربوي.



وهذا القرض الربوي هو الذي

كان منتشرًا في الجاهلية كما تبين من قبل؛ حيث جعلوا من القروض وسيلة للاستثمار في رحلة الشتاء والصيف وغيرهما، وأوضح مثل لهذا ما كان من العباس وشريكه، حيث كانا يسلفان في الربا، فجعلا هدف الشركة استثمار المال في طريق الإقراض الربوي، فحرّم الله تعالى هذا المنهج في الاستثمار وأبطله.

وجاء النظام الرأسمالي ليعيد إلى الاقتصاد المنهج الحرام، فجعل فوائد النقود مقابل الزمن: كأجر العمال، وريع الأرض، كلها في مبادئه وسائل إنتاج واستثمار.

وعن يهود هذا النظام الاقتصادي جاءتنا فكرة البنوك الربوية.

أرجو من البداية أن ننتبه، فقد حصر الكاتب معنى القرض في الحسن منه، ولم يشر إلى غير الحسن إلا في موضع آخر، ونتيجة لهذا الحصر رأيناه بعد ذلك يخرج القرض الربوي من معنى القرض، ويدخله في الاستثمار، بل في الاستثمار الحلال، ومع هذا يرى الكاتب أن العلماء الأعلام السابقين واللاحقين قد خلطوا.

ثم استطرد الكاتب إلى الحديث عن الدين، وبين أنه أعم من القرض، ثم عن الوديعة، وهذا صحيح – في الجملة إن شاء الله تعالى – بملاحظة أمرين:

الأول: أن الزيادة على الدَّيْن – بغير شرط أو عرف – جائزة شرعًا؛ ذلك أن المعروف عرفًا كالمشروط شرطًا، وأظن أننا الآن في الزمان الذي قال عنه صلى الله عليه وسلم: «يأتي على الناس زمان يأكلون الربا، فمن لم يأكله أصابه من غباره». وفي رواية: «من بخاره». (النسائي ٤٤٥٥ وضعفه الألباني).

ويحضرني في هذا المقام ما جاء في صحيح البخاري من قول عبدالله بن سلام – رضي الله عنه – لأبي بردة: «إنك في أرض – يقصد العراق – الربا بها فاش: إذا كان لك على رجل حق، فأهدى إليك حمل تبن، أو حمل شعير، أو حمل قتّ، فإنه ربا».

ومثل هذا الأمر في مصنف عبدالرزاق (١٤٣/٨) عن أبي بن كعب

جـــاء النظـــام الرأسمالي ليعيد إلى الاقتصاد المنهج الحرام، فجعـل فوائـد النقـود مقابـل الزمـن: كأجـر العمال، وريع الأرض، كلها في مبادئه وسائل إنتاج واستثمار

رضي الله عنه، وفيه: «فخذ قرضك، واردد إليه هديته».

فإذا كان مسلك بعض التجار العراقيين وحيلهم – ففي رواية: إنكم بأرض تجار – جعل الصحابيين الجليلين يمنعان أخذ الزيادة غير المشروطة، فمن باب أولى يجب الحذر والحيطة في زمننا، حيث قامت نظم اقتصادية على أساس الربا، وأصبح التعامل بالربا أسوأ مما كان عليه الحال في الجاهلية، وقد أثبتّ هذا في أكثر من كتاب من كتبي.

والثاني: أن معنى الودائع الشائع المستعمل ودائع البنوك، أو الودائع لأجل، أو الودائع الاستثمارية، لا يعني عقد الوديعة في الفقه الإسلامي، وإنما هي تسمية اصطلح الناس عليها في العرف المصري، وهي في غير موضعها اللغوي والشرعي، وقد نبّهت إلى هذا منذ أكثر من عشرين سنة، وبينت أن ودائع البنوك الربوية عقد قرض، وأن الودائع الاستثمارية في البنوك الإسلامية شركة مضاربة، وقد تم تدريس ما كتبته في بعض المعاهد التجارية العليا منذ سنة ١٤٠٠هـ، وقت أن كانت البنوك الإسلامية في المهد، وقبل بضع سنوات من وجود أي بنك إسلامي في قطر.

سبحانك اللهم.. هذا بهتان عظيم.

وللحديث بقية، والحمد لله رب العالمين.



شبهات الشيعة

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده:

فإن الشيعة الرافضة استدلوا ببعض النصوص الشرعية من سنة النبي صلى الله عليه وسلم على إمامة علي رضي الله عنه بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم، والحقيقة أنهم لم يفقهوا هذه الأدلة فضلاً عن عدم ثبوت بعضها إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وفيما يلي عرضًا لبعض هذه الأدلة والرد عليها:

١- حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي قال فيه:

«علي مني وأنا من علي» (الترمذي ٣٧١٩ وحسنه الألباني) يدل عند الشيعة على خلافة علي بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم بلا فصل، ولمناقشة هذا الدليل نقول: إن النبي صلى الله عليه وسلم أخبر في غير حديث عن بعض أصحابه أنه منهم وهم منه، فهل يعني ذلك أنهم أحق بالخلافة من غيرهم، كلا، بل إن المراد من قوله صلى الله عليه وسلم: «علي مني وأنا من علي» في الاتباع والنصرة والتأييد والمصاهرة والنسب.

وذلك كقوله صلى الله عليه وسلم في جليبيب رضي الله عنه الذي استُشهد في غزوة معه بعدما قتل سبعة من المشركين قال عنه: «هذا مني وأنا منه»(مسلم ٢٤٧٢)، وكذا قوله صلى الله عليه وسلم في الأشعريين قوم أبي موسى الأشعري رضي الله عنه: «هم مني وأنا منهم» (متفق عليه). وقوله عن سلمان الفارسي: «سلمان منا أهل البيت» (أخرجه ابن سعد في الطبقات ٤/ ٨٢-٨٣ وضعفه الألباني). فالمراد الاقتداء والاتباع والتأييد، وليس المراد الخلافة والإمامة كما يفهم الشيعة الرافضة.

٢- حديث الثقلين:

وهو قول النبي صلى الله عليه وسلم: «تركتم فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبدًا، كتاب الله، وعترتي». (الترمذي ٣٧٨٦ وصححه الألباني) في مناقب أهل البيت.

والحديث بكل طرقه تحدث علماء الحديث في صحته، فهو لا يخلو من طعن في صحته على اختلاف متونه، هذا أولاً، وثانيًا من هم عترة النبي صلى الله عليه وسلم؟ وما وجه الدلالة في الحديث، أليس حبر الأمة وترجمان القرآن من عترة النبي صلى الله عليه وسلم الذين هم أهل بيته وهم بنو هاشم، وكل من حرمت عليه الزكاة، فهل كان يرى ابن عباس خلافة علي بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ وكذا فإن إمام العترة علي رضي الله عنه قال للناس كما في «نهج البلاغة» (ص٩٧): «أنا لكم وزير خير من أمير».

أليس هذا إقرار بفضل الشيخين أبي بكر وعمر، بل إن عليًا صرح بذلك حيث قال: «أفضل الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو بكر وعمر». (مسند أحمد ٩٠٨ وصححه الألباني)، ثم ما دلالة هذا الحديث على خلافة علي رضي الله عنه، ألم يقل النبي صلى الله عليه وسلم: «اهتدوا بهدي عمار وتمسكوا بعهد ابن مسعود» (الترمذي ٣٨٠٥ وصححه الألباني)، فهل معنى ذلك إمامة عمار وابن مسعود بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ بالطبع لا، ولكن ذلك معناه أن هؤلاء على هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وسنته وطريقته، فليس معنى التمسك من قريب أو بعيد الولاية والخلافة، كما يفهم الرافضة، هذا فضلاً عن أنهم يطعنون في بعض عترة أهل البيت لتناقضهم البين وفساد معتقدهم الصريح، حيث طعنوا في أبناء الحسن واتهموهم ظلمًا أنهم يحسدون في أبناء الحسين، وكذا طعنهم في العباس عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وولده عبد الله رضي الله عنهما.

فنظرة الشيعة إلى عترة البيت ليست نظرة اتباع واقتداء، إنما هي نظرة شعوبية فارسية يتضح ذلك من

حول الصحابة الأبرار

إعداد/ أسامة سليمان

تعظيمهم لسلمان الفارسي رضي الله عنه حتى قالوا: إنه يوحى إليه. (رجال الكشي: ص٢١)؛ وذلك لأنه رضي الله عنه فارسي..... وكذا فالقوم لنظرتهم الشعوبية الفارسية، يقولون: إن كسرى في النار، بيد أن النار محرمة عليه. (مجالس الأنوار ٦١/ ٢١٤).

والأمر يتضح كثيرًا عندما يصف شقيهم كاظم الحائري أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بأنهم عطاش لأعراض نساء فارس العفيفات!! فتأمل يرحمك الله كيف يصف أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بالتطلع إلى أعراض النساء ويصف نساء فارس بالعفة والطهارة؛ لأنهن مجوسيات. (راجع حقبة من التاريخ: ص٢٠٥، ٢٠٦).

٣- حديث الغدير:

وهو قول النبي صلى الله عليه وسلم: «من كنت مولاه فعليٌّ مولاه». وذلك عندما قام النبي صلى الله عليه وسلم خطيبًا بماء يُدعى غدير خم في المسند والحاكم وهي صحيحة السند إلى النبي صلى الله عليه وسلم، لكن القوم لكذبهم راحوا يزيدون في الروايات، فزادوا في المتن: «اللهم والِ من والاه، وعاد من عاداه، وانصر من نصره واخذل من خذله، وأدر الحق معه حيث دار». وكل هذه الزيادة لم تصح إلى النبي صلى الله عليه وسلم. (راجع السلسلة الصحيحة: ١٧٥٠).

٥- إضافة إلى الزيادات الكثيرة في بعض روايات حديث الغدير: «اللهم وال من والاه وعاد من عاده»، فإن خطبة النبي صلى الله عليه وسلم في الغدير لم تكن خصيصًا لأجل علي رضي الله عنه وإنما ذكَّر النبي صلى الله عليه وسلم الناسَ بكتاب الله وأهل بيته من التوقير والاتباع والمحبة، ثم بيَّن منزلة علي رضي الله عنه عنده، وأن محبته تقتضي محبة علي، ثم إن الحديث ليس فيه دلالة على إمامة علي؛ إذ لو أن النبي صلى الله عليه وسلم أراد ذلك لصرح بكلام لا يحتمل إلا وجهًا واحدًا؛ حيث إن كلمة المولى تدل على معانٍ متعددة، منها الرب، والمالك، والمنعم، والناصر، والمحب، والحليف، والمعتق، وابن العم، والصهر..... (راجع النهاية لابن الأثير ٥/ ٢٢٨).

وهذا ما صرح به أحد علماء الشيعة؛ حيث قال: لم يصرح النبي صلى الله عليه وسلم لعلي بالخلافة من بعده، فلا فضل في غديرخم، وأشار إليها بكلام مجمل منزل بين معان يحتاج إلى بيان المقصد منها. (راجع فصل الخطاب للطبرسي: ٢٠٥/ ٢٠٦).

ثم نقول للشيعة: ألم يقل رب العالمين عن النار لشدة ملاصقتها للكفار والمجرمين: ﴿مَأْوَاكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ (الحديد: ١٥)، فماذا يعني وصف النار بالمولى في الآية يا قوم؟!

فضلاً عن أن الموالاة وصف ثابت لعلي رضي الله في حياته وبعد مماته، يقول جل شأنه: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ (المائدة: ٥٥)، وعلي رضي الله عنه من أوائل المؤمنين، وكذا فإن المولى يختلف عن الأولى، فالمولى هو المحب والناصر والمؤيد، والأولى تعني المقوم والمختار، فلماذا لم يقل رسول الله صلى الله عليه وسلم عليّ الأولى، إذا كان يريد الخلافة والإمامة كما يدّعي القوم الضالون!!

وأخيرًا فإن الله أخبر عن أتباع إبراهيم عليه السلام عن قومه أنهم أولى الناس به، فهل معنى ذلك أنهم أئمته ورؤساؤه؟ محال أن يكون هذا هو المراد؛ لأن إبراهيم هو إمامهم وقدوتهم، يقول جل شأنه: ﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (آل عمران: ٦٨).

وخلاصة القول: إن حديث الغدير لا يدل من بعيد أو قريب على خلافة علي رضي الله عنه، وإنما يعني ولاء الإسلام ونصرته، كما قال الشافعي رحمه الله: حديث زيد يعني ولاء الإسلام؛ كقوله سبحانه: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ﴾ (محمد: ١١). (راجع: حقبة من التاريخ: ١٨٦).

والله من وراء القصد.

واحة التوحيد

من نور كتاب الله

نصائح قرآنية

قال تعالى: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ (القصص: ٧٧).

من هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم

تحذير لحكام المسلمين

عَنْ أَبِي الشَّمَّاخِ الْأَزْدِيِّ عَنِ ابْنِ عَمٍّ لَهُ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَتَى مُعَاوِيَةَ فَدَخَلَ عَلَيْهِ، فَقَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «مَنْ وَلِيَ أَمْرًا مِنْ أَمْرِ النَّاسِ، ثُمَّ أَغْلَقَ بَابَهُ دُونَ الْمِسْكِينِ وَالْمَظْلُومِ أَوْ ذِي الْحَاجَةِ أَغْلَقَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى دُونَهُ أَبْوَابَ رَحْمَتِهِ عِنْدَ حَاجَتِهِ وَفَقْرِهِ أَفْقَرَ مَا يَكُونُ إِلَيْهَا». (رواه أحمد ١٥٦٨٩ وحسنه الألباني في الترغيب).

من دلائل نبوته صلى الله عليه وسلم

إخباره عن فتح مصر

عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ شُمَاسَةَ الْمَهْرِيِّ قَالَ سَمِعْتُ أَبَا ذَرٍّ رضي الله عنه يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «إِنَّكُمْ سَتَفْتَحُونَ أَرْضًا يُذْكَرُ فِيهَا الْقِيرَاطُ، فَاسْتَوْصُوا بِأَهْلِهَا خَيْرًا، فَإِنَّ لَهُمْ ذِمَّةً وَرَحِمًا، فَإِذَا رَأَيْتُمْ رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ فِي مَوْضِعِ لَبِنَةٍ فَاخْرُجْ مِنْهَا». قَالَ فَمَرَّ بِرَبِيعَةَ وَعَبْدِ الرَّحْمَنِ ابْنَيْ شُرَحْبِيلَ بْنِ حَسَنَةَ يَتَنَازَعَانِ فِي مَوْضِعِ لَبِنَةٍ فَخَرَجَ مِنْهَا. (مسلم ٢٥٤٣)

من جوامع الأدعية

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم كَانَ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ وَبِكَ آمَنْتُ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وَإِلَيْكَ أَنَبْتُ، وَبِكَ خَاصَمْتُ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِعِزَّتِكَ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ أَنْ تُضِلَّنِي أَنْتَ الْحَيُّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَالْجِنُّ وَالْإِنْسُ يَمُوتُونَ». (مسلم ٢٧١٧).

من فضائل الصحابة

كانوا سلفا وقدوة لمن بعدهم

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «أَرْحَمُ أُمَّتِي بِأُمَّتِي أَبُو بَكْرٍ، وَأَشَدُّهُمْ فِي دِينِ اللَّهِ عُمَرُ، وَأَصْدَقُهُمْ حَيَاءً عُثْمَانُ، وَأَفْرَضُهُمْ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ، وَأَقْرَؤُهُمْ لِكِتَابِ اللَّهِ أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ، وَأَعْلَمُهُمْ بِالْحَلَالِ وَالْحَرَامِ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ، أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَمِينًا وَإِنَّ أَمِينَ هَذِهِ الْأُمَّةِ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ». (مسند أحمد ١٤٠٢٢ وصححه الألباني).

حكم ومواعظ

عن سعيد بن أبي بردة قال: كتب عمر إلى أبي موسى رضي الله عنها: أما بعد! فإن أسعد الرعاة من سعدت رعيته، وإن أشقى الرعاة من شقيت رعيته.

عن الحسن بن علي رضي الله عنهما قال: اعلموا أن الحلم زينة، والوفاء مروءة، والعجلة سفه، والسفر ضعف، ومجالسة أهل الدناءة شين، ومخالطة أهل الفسق ريبة. (كنز العمال)

إعداد/ علاء خضر

العدل صلاحٌ للرعية

عن المنصور قال لابنه المهدي: يا أبا عبد الله، الخليفة لا يصلحه إلا التقوى، والسلطان لا يصلحه إلا الطاعة، والرعية لا يصلحها إلا العدل، وأولى الناس بالعفو أقدرهم على العقوبة، وأنقص الناس عقلاً من ظلم من هو دونه. (تاريخ الخلفاء)

من عظمة الإسلام

عن ميمون بن مهران قال: ثلاثة المسلم والكافر فيهن سواء: من عاهدته وفِّ بعهده مسلمًا كان أو كافرًا فإنما العهد لله عز وجل. ومن كانت بينك وبينه رحم فصلها مسلمًا كان أو كافرًا. ومن ائتمنك على أمانة فأدها إليه مسلمًا كان أو كافرًا. (شعب الإيمان).

عمر بن الخطاب لا يسمح بالتربح لأحد من عائلته

خرج أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، إلى السوق يومًا، فرأى إبلاً سمانًا تمتاز عن بقية الإبل، التي في السوق فسأل.. إبل من هذه؟ قالوا: هذه إبل عبد الله بن عمر، فانتقض أمير المؤمنين، قال لابنه ما هذه الإبل يا عبد الله؟ فأجاب عبد الله: إنها إبل نضاء أي هزيلة اشتريتها بمالي، وبعثت بها إلى الحمى أتاجر فيها. فعقب عمر يعنف ابنه ويلومه، ويقول الناس حين يرونها: اسقوا إبل أمير المؤمنين، ارعوا إبل أمير المؤمنين، وهكذا تسمن إبلك ويربو ربحك.. ثم صاح به: يا عبد الله بن عمر، خذ رأس مالك الذي دفعته في هذه الإبل، واجعل الربح في بيت مال المسلمين. (أخرجه البيهقي في السنن الكبرى: ٦/١٤٧).

من حكمة الشعر

قيل في الاعتبار من زوال حكم الطغاة:

يا ملوكَ الأنامِ هلا اعتبرْتُمْ
بملوكٍ تجورُ في الأفعـالِ؟
هـل جنيتم منَ التَّجَبُّـرِ إلا
كُلُّ إثمٍ عليكمُ ووبـالُ؟

منهج السلف في الدعوة

قال العباس بن غالب: قلت لأحمد بن حنبل رحمه الله: يا أبا عبد الله: أكون في المجلس ليس فيه من يعرف السُّنة غيري، فيتكلم مبتدع فيه، أرد عليه؟ فقال: لا تنصب نفسك لهذا، قال: أخبر بالسنة ولا تخاصم. (رسالة السجزي).

من أقوال السلف

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: عليكم بالطاعة والجماعة، فإنها حبل الله عز وجل الذي أمر به. وما تكرهون في الجماعة خيرٌ مما تحبون في الفُرقة».

عن علي رضي الله عنه قال: يا أيها الناس ما لكم ترغبون عما عليه أولكم وسنة نبيكم صلى الله عليه وسلم؟ إنما هلك من كان قبلكم أن ضربوا كتاب الله بعضه ببعض. (الشريعة للآجري).

اتبعوا ولا تبتدعوا

منهج السلف

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد:

فإن منهج السلف هو المنهج الحق للإسلام عقيدة وعملاً، وهو بذلك يمثل الخط المستقيم والامتداد الأصيل لما كان عليه المسلمون الأوائل الذين فارقهم النبي صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض.

وقد ظهر مصطلح «السلف» واشتهر حين ظهر النزاع ودار حول أصول الدين بين الفرق الكلامية، وحاول الجميع الانتساب إلى السلف، وأعلن أن ما هو عليه ما كان عليه السلف الصالح.

مَن هم السلف؟

السلف الصالح هم الصدر الأول الراسخون في العلم، المهتدون بهدي النبي صلى الله عليه وسلم الحافظون لسنته، اختارهم الله تعالى لصحبة نبيه، وانتخبهم لإقامة دينه، ورضيهم أئمة الأمة، فجاهدوا في سبيل الله حق جهاده، وأفرغوا جهدهم في نصح الأمة ونفعها، وبذلوا في مرضاة الله أنفسهم.

وقد أثنى الله تعالى عليهم في كتابه بقوله: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ (الفتح: ٢٩).

وقوله تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (التوبة: ١٠٠)، فذكر تعالى المهاجرين والأنصار ثم مدح أتباعهم، ورضي ذلك من الذين جاءوا من بعدهم.

وتوعد بالعذاب من خالفهم واتبع غير سبيلهم، فقال: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ (النساء: ١١٥).

وكما يجب اتباعهم فيما نقلوه، واقتفاء أثرهم فيما عملوه، يجب الاستغفار لهم، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلاَ تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاًّ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ (الحشر: ١٠).

وعلى ذلك فالسلفية اصطلاح يُطلق على طريقة الرعيل الأول، ومن يقتدون بهم في تلقي العلم، وطريقة فهمه، وليس محصورًا في دور تاريخي معين، والسلفية بذلك تمثل الفهم الصحيح للإسلام، وليست قاصرة على تلك الفترة الزمنية المباركة كما يزعم من يريدون تعريتها عن مضمونها.

الأدلة على وجوب اتباع المنهج السلفي
الأدلة من القرآن الكريم

نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

١- قال الله تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ

سبيل النجاة

إعداد/ معاوية محمد هيكل

خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (التوبة: ١٠٠).

قال ابن كثير: يخبر تعالى عن رضاه عن السابقين من المهاجرين والأنصار والتابعين لهم بإحسان ورضاهم عنه بما أعد لهم من جنات النعيم المقيم.

وقال الشوكاني: ومعنى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ﴾ أي: الذين اتبعوا السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار وهم المتأخرون عنهم من الصحابة فمن بعدهم إلى يوم القيامة.

وقال السعدي رحمه الله: ﴿وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ﴾ يعني في الاعتقادات والأقوال والأفعال، فهؤلاء الذين سلموا من الذم وحصل لهم نهاية المدح.

٢- قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ (النساء: ١١٥).

قال ابن كثير: «أي ومن سلك غير طريق الشريعة التي جاء بها الرسول صلى الله عليه وسلم فصار في شق والشرع في شق عن عمد منه بعد ما ظهر له الحق وتبين له واتضح، وقوله: ﴿وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ هذا ملازم للصفة الأولى، ولكن قد تكون المخالفة لنص الشارع، وقد تكون لما اجتمعت عليه الأمة المحمدية فيما عُلم اتفاقهم عليه تحقيقًا، فإنه قد ختمت لهم العصمة في اجتماعهم من الخطأ تشريفًا لهم وتعظيمًا لنبيهم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «إن كلا من الوصفين يقتضي الوعيد؛ لأنه مستلزم للآخر، فهكذا مشاقة الرسول واتباع غير سبيل المؤمنين، ومن شاقه فقد اتبع غير سبيلهم، هذا ظاهر، ومن اتبع غير سبيلهم فقد شاقه أيضًا، فإنه قد جعل له مدخلاً في الوعيد، فدل على أنه وصف مؤثر في الذم، فمن خرج عن إجماعهم فقد اتبع غير سبيلهم قطعًا، والآية توجب ذم ذلك».

الأدلة من السنة النبوية

لقد بيّن النبي صلى الله عليه وسلم أن الفرقة الناجية والطائفة المنصورة هم الجماعة، وهي ما كان عليه الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه الكرام، فقد ثبت عند ابن ماجه في سننه من حديث عوف بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم – وفيه -: «والذي نفس محمد بيده لتفترقن أمتي على ثلاث وسبعين فرقة، واحدة في الجنة وثنتان وسبعون في النار». قيل: يا رسول الله، من هم؟ قال: «الجماعة». (ابن ماجه ٣٩٩٢ وصححه الألباني).

قال أبو شامة: وحيث جاء الأمر بلزوم الجماعة فالمراد به لزوم الحق واتباعه، وإن كان المتمسك به قليلاً والمخالف له كثيرًا؛ لأن الحق هو الذي كانت عليه الجماعة الأولى من النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضي الله عنهم، ولا نظر إلى كثرة أهل الباطل بعدهم. (الباعث على إنكار البدع ص٣٢).

وصدق عبد الله بن مسعود رضي الله عنهما قال: الجماعة ما وافق الحق وإن كنت وحدك. (شرح أصول الاعتقاد ص١٦٠).

وثبت عند مسلم من حديث ثوبان رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق، لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك». (مسلم ١٩٢٠).

قال يزيد بن هارون وأحمد بن حنبل: «إن لم يكونوا

أصحاب الحديث فلا أدري من هم».

وقال ابن المديني: «هم أصحاب الحديث».

وقال البخاري: «يعني أصحاب الحديث».

وقال أحمد بن سنان: «هم أهل العلم وأصحاب الأثر». (شرف أصحاب الحديث للبغدادي).

قال المناوي في «فيض القدير» (٣/٣٩٥): وفيه معجزة بينة، فإن أهل السنة ما يزالون ظاهرين في كل عصر إلى الآن من حيث ظهرت البدع على اختلاف صنوفها من الخوارج والمعتزلة والرافضة وغيرهم لم تقم لأحد منهم دولة ولم تستمر لهم شوكة، بل كلما أوقدوا نارًا للحرب أطفأها الله بنور الكتاب والسنة، فلله الحمد والمنة.

السلف قدوتنا في العلم والعمل

وإليك أخي القارئ صورًا مشرقة ومشرِّفة في العلم والعمل لسلف هذه الأمة لترى كيف كان حرصهم على طاعة ربهم واتباع سنة نبيهم صلى الله عليه وسلم، لنجعلهم لنا في الخير قدوة، وفي البر أسوة:

١- عن سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهم عن أبيه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «نعم الرجل عبد الله لو كان يصلي من الليل». قال سالم: فكان عبد الله بعد ذلك لا ينام من الليل إلا قليلاً. (رواه مسلم: ٢٤٧٩).

السلف الصالح هم الصدر الأول الراسخون في العلم، المهتدون بهدي النبي صلى الله عليه وسلم الحافظون لسنته، اختارهم الله تعالى لصحبة نبيه، وانتخبهم لإقامة دينه، ورضيهم أئمة الأمة

٢- عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: بينما نحن نصلي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ قال رجلٌ من القوم: الله أكبر كبيرًا، والحمد لله كثيرًا، وسبحان الله بكرة وأصيلاً، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من القائل كلمة كذا وكذا؟ قال رجل من القوم: أنا يا رسول الله، قال: «عجبت لها، فتحت لها أبواب السماء». قال ابن عمر: فما تركتهن منذ سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ذلك.

٣- وعن أبي بكر بن أبي موسى الأشعري رضي الله عنهما قال: سمعت أبي رضي الله عنه وهو بحضرة العدو يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن أبواب الجنة تحت ظلال السيوف»، فقام رجلٌ رث الهيئة فقال: يا أبا موسى، أنت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ذلك؟ قال: نعم، فرجع إلى أصحابه فقال: أقرأ عليكم السلام ثم كسر جفن سيفه فألقاه ثم مشى بسيفه إلى العدو فضرب به حتى قتل». (رواه مسلم: ١٩٠٢).

٤- عن علي رضي الله عنه قال: اشتكت فاطمة رضي الله عنهما ما تلقى من الرحى في يدها، وأتى النبي صلى الله عليه وسلم سبيٌ فانطلقت فلم تجده؛ فأخبرته عائشة بمجيء فاطمة إليه، فجاء النبي صلى الله عليه وسلم إلينا وقد أخذنا مضاجعنا، فذهبنا نقوم، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «على مكانكما». فقعد بيننا، ثم قال: «ألا أعلمكما خيرًا مما سألتما؟ إذا أخذتما مضاجعكما: أن تكبرا الله أربعًا وثلاثين، وتسبحا ثلاثًا وثلاثين، وتحمدا ثلاثًا وثلاثين؛ فهو خيرٌ لكما من خادم». قال علي رضي الله عنه: ما تركته منذ سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم. قيل له: ولا ليلة صفين؟ قال: ولا ليلة صفين. (مسلم: ٢٧٢٧، وأبو داود: ٣٠٤٤، وأحمد: ٧٩٧).

٥- قال الإمام مسلم رحمه الله: حدثنا محمد بن عبد الله بن نمير، حدثنا أبو خالد - يعني - سليمان بن حيان عن داود بن أبي هند، عن النعمان بن سالم، عن عمرو بن أوس قال: حدثني عنبسة بن أبي سفيان في مرضه الذي مات فيه بحديث يتسار إليه (يسارُ به) قال: سمعت أم حبيبة تقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «من صلى اثنتي عشرة ركعة في يوم وليلة بنى له بهن بيتًا في الجنة». قالت أم حبيبة: فما تركتهن منذ سمعتهن من رسول الله صلى الله عليه وسلم. وقال عنبسة: فما تركتهن منذ سمعتهن من أم حبيبة. وقال عمرو بن أوس: ما تركتهن منذ سمعتهن من عنبسة. وقال النعمان بن سالم: ما تركتهن منذ سمعتهن من عمرو بن أوس».

٦- عن أم حبيبة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: من ركع أربع ركعات قبل الظهر وأربعًا بعدها، حرم الله عز وجل لحمه على النار. قالت: فما تركتهن منذ سمعتهن. (رواه أحمد: ٢٥٥٣٩، والنسائي: ١٧٨٩).

٧- عن أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من قرأ بالآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه». رواه البخاري ومسلم.

قال ابن القيم رحمه الله: قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: ما كنت أرى أحدًا يعقل ينام قبل أن يقرأ بالآيات الأواخر من سورة البقرة. أخرجه أبو بكر بن أبي داود في (شريعة القارئ) بإسناد صحيح على شرط البخاري ومسلم.

٨- قال البخاري: ما اغتبت أحدًا قط منذ علمت أن الغيبة حرام، إني لأرجو أن ألقى الله ولا يحاسبني أني اغتبت أحدًا. (الطبقات للسبكي: ٩/٢٠).

٩- عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من قرأ آية الكرسي عقب كل صلاة، لم يمنعه من دخول الجنة إلا أن يموت». (رواه النسائي، وصححه الألباني في صحيح الجامع: ٦٤٦٤).

قال ابن القيم رحمه الله: «بلغني عن شيخ الإسلام أنه قال: ما تركتها عقب كل صلاة إلا نسيانًا أو نحوه». (الوابل الصيب: ٢٢٩).

١٠- قال الإمام أحمد رحمه الله: ما كتبت حديثًا إلا وقد عملت به، حتى مر بي أن النبي صلى الله عليه وسلم احتجم وأعطى أبا طيبة دينارًا، فأعطيت الحجام دينارًا حين احتجمت. (سير أعلام النبلاء: ١١/٢١٣).

هكذا كان سلف هذه الأمة عبر العصور لا يحرصون فقط على فعل الفروض والواجبات، بل كانوا يسارعون إلى فعل المستحبات والمندوبات كحرصهم على الواجبات لعلمهم أن في ذلك رضا ربهم ورفعة لدرجاتهم، من أجل ذلك نالوا السبق والفضل واستحقوا كل خير حتى صار ذكرهم الطيب على كل لسان، وسيرتهم العطرة حديث الركبان، وعُرفوا بكل جميل وإحسان.

فإذا أردنا لأمتنا أن تنهض ولشعوبها أن تسعد فلننهج النهج الذي نهجوا، ولنسلك الدرب الذي سلكوا، فإنهم كانوا على أقوم طريق وأهدى سبيل، فرضي الله عن الصحابة والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، والحمد لله رب العالمين.

كان سلف هذه الأمة عبر العصور لا يحرصون فقط على فعل الفروض والواجبات، بل يسارعون إلى فعل المستحبات والمندوبات كحرصهم على الواجبات لعلمهم أن في ذلك رضا ربهم ورفعة لدرجاتهم

الإصلاح بين الناس من عمل المرسلين

إعداد/ عبده أحمد الأقرع

الحمد لله شرح صدور المؤمنين فانقادوا لطاعته، وحبَّب إليهم الإيمان وزينه في قلوبهم، وأصلي وأسلم على خاتم النبيين محمد الصادق الأمين.

وبعدُ:

فإنَّ الإصلاح بين النَّاس موضوع له خطره وأثره، فالقائمُ بالإصلاح بين الناس يتعرضُ كثيرًا للاتهام من الطرفين؛ لأنه يمثلُ الحقيقة في وضوحها، ولا يمكن أن يحيد، وقد يحدث أن كلا الطرفين أو أحدهما لا يرضى بالحقيقة، فلا بد له من الصبر الواسع على هذا الأمر العظيم، وله أجر عند ربه سبحانه وتعالى، فإن إصلاح ذات البين يُذهب وغر الصدور ويجمعُ الشملَ ويضمُّ الجماعة ويزيل الفرقة، والإصلاح بين الناس في دين الله مبعثُ الأمن والاستقرار، ومنبع الألفة والمحبة، ومصدر الهدوء والطمأنينة، إنه آية الاتحاد والتكاتف، ودليل الأخوة وبرهان الإيمان.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ (الحجرات: ١٠).

والصلح خيرٌ تهبُّ به على القلوب المتجافية رياحُ الأنس ونسماتُ النَّدى، صلحٌ تسكنُ به النفوسُ، ويتلاشى به النزاعُ، الصلحُ نهجٌ شرعيٌ يُصانُ به الناسُ وتُحفظُ به المجتمعات من الخصام والتفكك.

بالصلح تُستجلب المودات، وتعمر البيوتات، ويبثُ الأمنُ في الجنبات.. ومن ثَمَّ يتفرغُ الرجالُ للأعمال الصالحة، يتفرغون للبناء والإعمار بدلاً من إفناء الشهور والسنوات في المنازعات، والكيد في الخصومات، وإراقة الدماء، وتبديد الأموال، وإزعاج الأهل والسلطات، وقد أمر الله تعالى بإصلاح ذات البين وجعله عنوانَ الإيمان.

فقال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (الأنفال: ١).

إصلاح في نطاق جماعة المؤمنين وطوائفهم:

قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا﴾ (الحجرات: ٩).

وإصلاحٌ في نطاق الأسرة وبيت الزوجية:

قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا﴾ (النساء: ٣٥).

وقال تعالى: ﴿وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾ (النساء: ١٢٨).

وإصلاح بين الأفراد:

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ﴾ (البقرة: ٢٢٤).

إصلاح يعدلُ بين اثنين، ويجمعُ بين متهاجرين، ويقرِّبُ بين مُتظالمين، يُقادان إلى صلح لا يحلُ حرامًا، ولا يحرّم حلالاً.

إصلاحٌ بين أصحاب الحقوق في الوصايا

والأوقاف:

قال الله تعالى: ﴿فَمَنْ خَافَ مِنْ مُوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلاَ إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (البقرة:١٨٢).

ووعد سبحانه وتعالى من أصلح بين الناس إيمانًا واحتسابًا أن يؤتيه أجرًا عظيمًا، فقال تعالى: ﴿لاَ خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاَحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ (النساء:١١٤).

والإصلاح بين الناس وظيفة المرسلين لا يقوم بها إلا أولئك الذين أطاعوا ربهم، وشرفت نفوسهم وصفت أرواحهم يقومون به؛ لأنهم يحبون الخير والهدوء ويكرهون الشر حتى عند غيرهم من الناس، ويمقتون الخلاف حتى عند غيرهم، ويجدون في إحباط كيد الخائنين.

ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلح بنفسه بين المتخاصمين، عن سهل بن سعد رضي الله عنه أن أهل قباء اقتتلوا حتى تراموا بالحجارة، فأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك، فقال: «اذهبوا بنا نصلح بينهم». (البخاري: ٢٦٩٣).

وعن عمرة بنت عبد الرحمن قالت: سمعت عائشة تقول: سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم صوت خصوم بالباب، عالية أصوتهما، وإذا أحدهما يستوضع الآخر ويسترفقه في شيء، وهو يقول: والله لا أفعل، فخرج عليهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «أين المتألي على الله لا يفعل المعروف». فقال: أنا يا رسول الله، فله أي ذلك أحب». (متفق عليه).

معنى المتألي: الحالف. معنى «يستوضعه»: يسأله أن يضع عنه بعض دَيْنه.

«ويسترفقه»: يسأله الرفق.

فعندما رأى النبي صلى الله عليه وسلم يستنكر عمله، عدل عن رأيه، واستجاب لفعل الخير، وقد قامت في نفسه داوفعه؛ إرضاءً لله ولرسوله.

والشاهد من ذلك خروجه صلى الله عليه وسلم للإصلاح بينهما.

وكان صلى الله عليه وسلم يرغِّب في إصلاح ذات البين ويحث عليه:

إن من فقه الإصلاح: صلاح النية، وابتغاء مرضاة الله، وتجنب الأهواء الشخصية والمنافع الدنيوية، إذا تحقق الإخلاصُ حلَّ التوفيقُ، وجرى التوافق، وأنزل الثباتُ في الأمر والعزيمةُ على الرشد

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كل سلامى من الناس عليه صدقة، كل يوم تطلع فيه الشمس، يعدل بين الاثنين صدقة، ويعين الرجل على دابته، فيحمل عليها، أو يرفع عليها متاعه صدقة، والكلمة الطيبة صدقة، وكل خطوة يخطوها إلى الصلاة صدقة، ويميط الأذى عن الطريق صدقة». (متفق عليه).

وبيَّن صلى الله عليه وسلم أن أفضل الصدقات الإصلاح بين الناس:

عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة». قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «إصلاح ذات البين، فإن فساد ذات البين هي الحالقة». (صحيح الترغيب: ٢٨١٤).

فبين صلى الله عليه وسلم أن درجة المصلح بين الناس أفضل من درجة الصائمين والمصلين والمتصدقين.

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أفضل الصدقة إصلاح ذات البين». (صحيح الترغيب: ٢٨١٧).

وعن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لأبي أيوب: «ألا أدلك على تجارة؟» قال: بلى.

> الدِّينُ الإسلامي الحنيف أوجب على العقلاء من الناس أن يتوسطوا بين المختاصمين، ويقوموا بإصلاح ذات بينهم، ويلزموا المعتدي أن يقف عند حده؛ درءًا للمفاسد المترتبة على الخلاف والنزاع، ومنعًا للفوضى والخصام

قال: «صلْ بين الناس إذا تفاسدوا، وقرب بينهم إذا تباعدوا». (صحيح الترغيب: ٢٨١٨).

عن أبي أيوب رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يا أبا أيوب: ألا أدلك على صدقة يحبها الله ورسوله؟ تصلح بين الناس إذا تباغضوا وتفاسدوا». (صحيح الترغيب: ٢٨٢٠).

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «ما عُمل شيءٌ أفضل من الصلاة، وصلاح ذات البين، وخُلق جائز بين المسلمين». (صحيح الترغيب: ٢٨١٦).

والإمام الأوزاعي – رحمه الله – يقول: «ما خطوة أحب إلى الله عز وجل من خطوة في إصلاح ذات البين».

ولقد بلغت العناية بالصلح بين المسلمين إلى أنه رُخِّص فيه بالكذب مع قباحته وشناعته وشدة تحريمه.

عن أم كلثوم رضي الله عنها أنها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس، فينمي خيرًا، أو يقول خيرًا». (متفق عليه).

فينمي خيرًا: أي يبلغ خيرًا.

وفي رواية عنها رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لم يكذب من نمى بين اثنين ليصلح».

بل ذهب التشريعُ إلى إباحة المسألة لمن تحمل غرامة، تقديرًا لعظم الفعل، واعترافًا بأهمية الدور.

عن قبيصة بن المخارق رضي الله عنه قال: تحملت حمالةً (يعني: غرامة) فأتيتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم أسأله فيها، فقال: «أقم حتى تأتينا الصدقة فنأمر لك بها». ثم قال: «يا قبيصة، إن المسألة لا تحل إلا لأحد ثلاثة: رجل تحمل حمالة فحلت له المسألة حتى يصيبها ثم يمسك، ورجل أصابته جائحة اجتاحت ماله فحلت له المسألة حتى يصيب قوامًا من عيش، ورجل أصابته فاقة حتى يقول ثلاثة من ذوي الحجا من قومه: لقد أصاب فلانًا فاقة، فحلت له المسألة حتى يصيب قوامًا من عيش ثم يمسك، فما سواهن من المسألة فسحت يأكلها صاحبها سحتًا». (مختصر مسلم: ٥٦٨).

فالدِّينُ الإسلامي الحنيف أوجب على العقلاء من الناس أن يتوسطوا بين المختاصمين، ويقوموا بإصلاح ذات بينهم، ويلزموا المعتدي أن يقف عند حده؛ درءًا للمفاسد المترتبة على الخلاف والنزاع، ومنعًا للفوضى والخصام، وأقوم الوسائل التي تصفو بها القلوب من أحقادها.

وللإصلاح فقهٌ ومسالكُ دلت عليها نصوص الشرع، وسار عليها المصلحون المخلصون.

إن من فقه الإصلاح: صلاح النية، وابتغاء مرضاة الله، وتجنب الأهواء الشخصية والمنافع الدنيوية، إذا تحقق الإخلاصُ حلَّ التوفيقُ، وجرى التوافق، وأُنزل الثباتُ في الأمر والعزيمةُ على الرشد.

أما من قصد بإصلاحه الترؤس والرياءَ وارتفاعَ الذِّكرِ والاستعلاءَ فبعيدٌ أن ينال ثوابَ الآخرة، وحريٌّ ألا يحالف التوفيق مسعاه.

قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ (النساء: ١١٤).

ومن فقه الإصلاح: سلوكُ مسلك السرِّ والنجوى، فلئن كان كثيرٌ من النجوى مذمومًا، فإن ما كان من

صدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس فهو محمودٌ مستثنى.

قال الله تعالى: ﴿لاَ خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاَحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾ (النساء: ١١٤).

فلعلَّ فشلَ كثير من مساعي الصلح ولجانه: فشوُّ الأحاديث، وتسرب الأخبار.

وعلى المصلح أن يخبر بما علمه من الخير، ويسكت عما علمه من الشرّ.

وليعلم المصلح أن الشر لا يطفأ بالشر، كما أن النار لا تطفأ بالنار، ولكنه بالخير يُطفأ، فلا تسكن الإساءة إلا بالإحسان، ولهذا فقد يحتاجُ المتنازعان إلى أن يتنازلا عن بعض الحقّ فيما بينهما.

وعلى المصلح أن يعلم أن النفوسَ مجبولةٌ على الشحّ وصعوبة الشكائم، مما يستدعي بذلاً في طول صبر وأناة، امتثالاً لأمر الله تعالى: ﴿وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الأَنْفُسُ الشُّحَّ وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ (النساء: ١٢٨).

ولكن في مقابل هذه النفوس الشحيحة يترقى أصحابُ المروءات من المصلحين الأخيار ليبذلوا ويغرموا، نعم يبذلون الوقت والجهد، ويصرفون المال والجاه، ولقد قدَّر الإسلام مروءتهم، وحفظ لهم معروفهم، فجعل في حساب الزكاة ما يحملُ عنهم غرامتهم.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ (سورة التوبة: ٦٠).

والغارمون قسمان:

أحدهما: الغارمون لإصلاح ذات البين.

والثاني: من غرم لنفسه ثم أعسر، فإنه يُعطى ما يُوفَّى به دينه.

وعلى المصلح أن يذكّر بما جاء في كتاب الله تعالى وسنة النبي صلى الله عليه وسلم من الترغيب في العفو والترهيب في القطيعة.

وأخيرًا فليكن شعار المصلح قول نبي الله شعيب عليه السلام: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الإِصْلاَحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ (هود: ٨٨).

وأن يجعل كل امرئ نفسه ميزانًا بينه وبين إخوانه المسلمين، فما يحبه لنفسه يحبه لهم، وما يكرهه لنفسه يكرهه لهم.

وحسب العبد ما جاء عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من أحب أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتأته منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر، وليأت إلى الناس الذي يحب أن يؤتى إليه». (مسلم: ١٨٤٤/١٤٧٢ و١٤٧٣/٣).

وبذلك تستقيم الأمور بإذن الله.

وهذا الأمر يحتاج إلى صبر جميل.

وإذا أُهمل هذا الأمر – الصلح بين الناس – عمَّ الشر القريب والبعيد، وأهلك النفوس والأموال، وقضى على الأواصر، وقطع ما أمر الله به أن يوصل من وشائج الرحم والقرابة، وذهب بريح الجماعة.

قال الله تعالى: ﴿وَلاَ تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ (الأنفال: ٤٦).

والحمد لله رب العالمين.

> وليعلم المصلح أن الشر لا يطفأ بالشر، كما أن النار لا تطفأ بالنار، ولكنه بالخير يُطفأ، فلا تسكن الإساءة إلا بالإحسان، ولهذا فقد يحتاجُ المتنازعان إلى أن يتنازلا عن بعض الحقِّ فيما بينهما

الأسر الفقيرة والأسر الغنية

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد...

فقد اختلفت أنظار كثير من الأُسَر نحو الفقر والغنى، فمن الناس من يظن أن فقره من هوانه على ربه، وهؤلاء مخطئون قطعًا، وإلا لم يرزق الله تعالى الكافر، بل قال: ﴿كُلًّا نُّمِدُّ هَٰؤُلَاءِ وَهَٰؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾ (الإسراء: ٢٠)، ومنهم من يرى غناه علامة رضا من الله سبحانه، وهؤلاء أيضًا مخطئون؛ لأن الله تعالى قد يعطي العبد على خطاياه الكثيرة، وحينها يكون ذلك استدراجًا وليس حبًا ولا رضًا بما يصنع، وقد قال صلى الله عليه وسلم: «إذا رأيت الله يعطي العبد على معاصيه فإنما ذلك استدراج» (أحمد ١٧٣١١ وصححه الألباني).

ومنهم من يعتبر الفقر شرفًا يوم القيامة، وسببًا للسبق نحو الجنة، وآخرون يرون الغنى طريق الدرجات عند الله، وفي هذا المقال نستعرض خلاصة اجتهاد أهل العلم في بيان ذلك.

عن أُسَامَةَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ، عَلَيْهِ الصلاة والسَّلام، قَالَ: «قُمْتُ عَلَى بَابِ الْجَنَّةِ، فَكَانَ عَامَّةَ مَنْ دَخَلَهَا الْمَسَاكِينُ، وَأَصْحَابُ الْجَدِّ مَحْبُوسُونَ، غَيْرَ أَنَّ أَصْحَابَ النَّارِ قَدْ أُمِرَ بِهِمْ إِلَى النَّارِ، وَقُمْتُ عَلَى بَابِ النَّارِ فَإِذَا عَامَّةُ مَنْ دَخَلَهَا النِّسَاءُ» (متفق عليه).

وقوله صلى الله عليه وسلم: أصحاب الجَدِّ بفتح الجيم أي: الغنَى، وقوله صلى الله عليه وسلم: محبوسون أي ممنوعون من دخول الجنة مع الفقراء من أجل المحاسبة على المال، وكأن ذلك عند القنطرة التي يتقاصون فيها بعد الجواز على الصراط.

قال المهلب: فيه من الفقه أن أقرب ما يُدْخَل به الجنة: التواضع لله تعالى، وأن أبعد الأشياء من الجنة: التكبر بالمال وغيره، وإنما صار أصحاب الجد محبوسين؛ لمنعهم حقوق الله الواجبة للفقراء في أموالهم، فحُبِسُوا للحساب عما منعوه، فأما من أدى حقوق الله في أمواله، فإنه لا يُحبس عن الجنة، إلا أنهم قليل؛ إذ أكثر شأن المال تضييع حقوق الله فيه؛ لأنه محنة وفتنة، ألا ترى قوله: «فكان عامة من دخلها المساكين»، وهذا يدل أن الذين يؤدون حقوق المال ويسلمون من فتنته هم الأقل، وقد احتج بهذا الحديث في فضل الفقر على الغنى. (شرح صحيح البخاري لابن بطال ٧/ ٣١٨).

التفاضل بين الفقر والغنى

قال ابن بطال رحمه الله: طال تنازع الناس في هذه المسألة، فذهب قوم إلى تفضيل الفقر، وذهب آخرون إلى تفضيل الغنى.

أدلة من فضل الفقر على الغنى:

واحتج من فضَّل الفقر بهذه الآثار وبغيرها، فمنها: أنه صلى الله عليه وسلم كان يقول في دعائه: «اللهم أحيني مسكينًا، وأمتني مسكينًا، واحشرني في زمرة المساكين» (الترمذي ٢٣٥٢ وصححه الألباني).

ومنها قوله صلى الله عليه وسلم: «إن الفقراء يدخلون الجنة وأصحاب الجد محبوسون» (متفق عليه). ومنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يدخل الفقراء الجنة قبل الأغنياء بخمسمائة سنة، نصف يوم» (الترمذي ٢٣٥٣ وصححه الألباني).

أدلة من فضَّل الغنى على الفقر:

واحتج من فضَّل الغنى بقوله صلى الله عليه وسلم: «إن المكثرين هم الأقلون، إلا من قال بالمال هكذا وهكذا» (أحمد ٢١٥٧٠ وصححه الألباني). وبقوله صلى الله عليه وسلم: «لا حسد إلا في اثنتين، أحدهما: رجل آتاه الله مالاً فسلَّطه على هلكته في الحق» (متفق عليه).

ودخول الجنة

إعداد/ جمال عبد الرحمن

وبقوله لسعد: «إنك أن تذر ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم عالةً يتكففون الناس» (متفق عليه). وقال لأبي لبابة حين قال: يا رسول الله، إن من توبتي أن أنخلع من مالي صدقةً إلى الله ورسوله: «أمسك عليك بعض مالك فإنه خير لك» (البخاري ١٤٢٥). وقال في معاوية: «إنه صعلوك لا مال له» (مسلم ١٤٨٠)، ولم يكن صلى الله عليه وسلم ليذمّ حالة فيها الفضل.

الترجيح بين الأمرين:

قال ابن بطال: وأحسن ما رأيت في هذه المسألة ما قاله أحمد بن نصر الداودي قال: «الفقر والغنى محنتان من الله تعالى وبليتان يبلو بهما أخيار عباده، ليبدي صبر الصابرين وشكر الشاكرين، وطغيان البطرين، وإنما أشكل ذلك على غير الراسخين، فوضع قوم الكتب في تفضيل الغنى على الفقر، ووضع آخرون في تفضيل الفقر، وأغفلوا الوجه الذي يجب الحض عليه والندب إليه، وأرجو لمن صحت نيته وخلصت لله طويته، وكانت لوجهه مقالته أن يجازيه الله على نيته ويعلمه، قال تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾ (الكهف: ٧)، وقال تعالى: ﴿وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ (الأنبياء: ٣٥)، وقال: ﴿وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الإِنسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاء عَرِيضٍ﴾ (فصلت: ٥١)، وقال: ﴿إِنَّ الإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا﴾ (المعارج: ١٩-٢١)، وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا الإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ﴾ (الفجر: ١٥، ١٦)، وقال: ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الأَرْضِ﴾ (الشورى: ٢٧).

وقال: ﴿وَلَوْلا أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ..﴾ (الزخرف: ٣٣) الآية، وقال: ﴿كَلاَّ إِنَّ الإِنسَانَ لَيَطْغَى أَن رَّآهُ اسْتَغْنَى﴾ (العلق: ٦، ٧)، وقال: ﴿وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾ (العاديات: ٨)، يعني لحب المال، وقال صلى الله عليه وسلم: «ما الفقر أخشى عليكم، ولكن أخشى أن تبسط عليكم الدنيا..» (متفق عليه). وكان صلى الله عليه وسلم يستعيذ من فتنة الفقر، وفتنة الغنى، فدل هذا كله أن ما فوق الكفاف محنة، لا يسلم منها إلا من عصمه الله، وقد قال صلى الله عليه وسلم: «ما قل وكفى خير مما كثر وألهى» (أحمد ٢١٧٢١ وصححه الألباني).

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما أوتي بأموال كسرى: (ما فتح الله هذا على قوم إلا سفكوا دماءهم وقطعوا أرحامهم. وقال: اللهم إنا لا نستطيع إلا أن نفرح بما زينت لنا، اللهم إنك منعت هذا رسولك إكرامًا منك له، وفتحته عليَّ لتبتليني به، اللهم سلطني على هلكته في الحق واعصمني من فتنته».

فهذا كله يدل على فضل الكفاف، لا فضل الفقر كما خيل لهم، بل الفقر والغنى بليتان كان النبي صلى الله عليه وسلم يستعيذ من فتنتهما، ويدل على هذا قوله تعالى: ﴿وَلاَ تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلاَ تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾ (الإسراء: ٢٩)، وقال: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾ (الفرقان: ٦٧)، وقال: ﴿وَلاَ تُؤْتُوا السُّفَهَاء أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا﴾ (النساء: ٥)، وقال في ولي اليتيم: ﴿وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ﴾ (النساء: ٦)، وقال: ﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ...﴾ (النساء: ٩)، وقال صلى الله عليه وسلم لأبي لبابة: «أمسك عليك بعض مالك» (البخاري ١٤٢٥). وقال لسعد: «إنك أن تذر ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم عالةً يتكففون الناس» (متفق عليه).

وهذا من الغنى الذي لا يُطغي، ولو كان كلما زاد كان أفضل لنهاه النبي صلى الله عليه وسلم أن يوصى بشيء، واقتصرت أيدي الناس عن الصدقات وعن الإنفاق في سبيل الله، وقال لعمرو بن العاص: «هل لك أن أبعثك في جيش يسلمك الله ويغنمك، وأرغب لك رغبةً من المال؟ فقال: ما للمال كانت هجرتي، إنما كانت لله ولرسوله. فقال: نعم

المال الصالح للرجل الصالح» (البخاري في الأدب المفرد ٢٩٩ وصححه الألباني).

زبدة الكلام:

ولم يكن صلى الله عليه وسلم ليحض أحدًا على ما يُنقص حظه عند الله، فلا يجوز أن يقال: إن إحدى هاتين الخصلتين أفضل من الأخرى؛ لأنهما محنتان، وكأن قائل هذا يقول: إن ذهاب يد الإنسان أفضل عند الله من ذهاب رجله، وإن ذهاب سمعه أفضل من ذهاب بصره؛ فليس هاهنا موضع للفضل، وإنما هي محن يبلو الله بها عباده؛ ليعلم الصابرين والشاكرين من غيرهما، ولم يأت في الحديث، فيما علمنا، أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يدعو على نفسه بالفقر، ولا يدعو بذلك على أحد يريد به الخير، بل كان يدعو بالكفاف ويستعيذ بالله من شرّ فتنة الفقر وفتنة الغنى، ولم يكن يدعو بالغنى إلا بشريطة يذكرها في دعائه. فأماّ ما روي عنه أنه كان يقول: (اللهم أحيني مسكينًا وأمتني مسكينًا، واحشرني في زمرة المساكين) (الترمذي ٣٥٢ وصححه الألباني). فإن ثبت في النقل فمعناه ألا يجاوز به الكفاف، أو يريد به الاستكانة إلى الله، ويدل على صحة هذا التأويل أنه ترك أموال بني النضير وسهمه من فدك وخيبر، فغير جائز أن يظن به أن يدعو إلى الله ألا يكون بيده شيء، وهو يقدر على إزالته من يده بإنفاقه. وما روي عنه أنه قال: «اللهم من آمن بي وصدّق ما جئت به، فأقلل له من المال والولد» (ضعفه الألباني).

فلا يصح في النقل ولا في الاعتبار، ولو كان إنما دعا بذلك في المال وحده لكان محتملاً أن يدعو لهم بالكفاف، وأما دعاؤه بقلة الولد، فكيف يدعو أن يقل المسلمون، وما يدفعه العيان مدفوع عنه صلى الله عليه وسلم، وأحاديثه لا تتناقض. كيف يذمّ معاوية، ويأمر أبا لبابة وسعدًا أن يبقيا ما ذكر من المال، ويقول: إنه خير، ثم يخالف ذلك، وقد ثبت أنه



دعا لأنس بن مالك وقال: «اللهم أكثر ماله وولده، وبارك له فيما أعطيته» (متفق عليه).

قال أنس: فلقد أحصت ابنتي أنى قدّمت من ولد صُلبي مَقْدم الحجاج البصرة مائةً وبضعةً وعشرين نسمةً بدعوة رسول الله، وعاش بعد ذلك سنين ووُلد له». فلم يدع له بكثرة المال إلا وقد أتبع ذلك بقوله: «وبارك له فيما أعطيته».

المبتلى بالغنى والمبتلى بالفقر:

فإن قيل: فأي الرجلين أفضل: المبتلى بالفقر، أو المبتلى بالغنى إذا صلحت حال كل واحد منهما؟ قيل: السؤال عن هذا لا يستقيم؛ إذ قد يكون لهذا أعمال سوى تلك المحنة يفضل بها صاحبه والآخر كذلك، وقد يكون هذا الذي صلح حاله على الفقر لا يصلح حاله على الغنى، ويصلح حال الآخر على الفقر والغنى. فإن قيل: فإن كان كل واحد منهما يصلح حاله في الأمرين، وهما في غير ذلك من الأعمال متساويان قد أدّى الفقير ما يجب عليه في فقره من الصبر والعفاف والرضا، وأدّى الغني ما يجب عليه من الإنفاق والبذل والشكر والتواضع، فأي الرجلين أفضل؟ قيل: علم هذا عند الله.

وأمّا قوله: «وأصحاب الجد محبوسون» فإنما يُحبس لهذا أهل التفاخر والتكاثر، وإن من أدّى حق الله في ماله، ولم يرد به التفاخر وأرصد باقيه لحاجته إليه، فليس أولئك بأولى منه في السبق إلى شيء، ويدل على هذا قوله صلى الله عليه وسلم: «لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله مالاً فسلطه على هلكته في الحق» (متفق عليه). فبين أنه لا شيء أرفع من هاتين الحالتين، وهو المبين عن الله تعالى معنى ما أراد، ولو كان من هذه حاله مسبوقًا في الأخرى لما حضّ النبي صلى الله عليه وسلم على أن يتنافس في عمله، ولحضّ أبا لبابة على الحالة التي يسبق بها إلى الجنة، ألا ترى قوله صلى الله عليه وسلم في حديث: «الخيل لثلاثة: لرجل أجر، ولرجل ستر، وعلى رجل وزر، فالذي هي عليه وزر فرجل ربطها فخرًا ورياءً ونواءً لأهل الإسلام» (البخاري ٢٣٧١). فهذا من المحبوسين للحساب بخلاف الأولين.

آفات الغنى:

غير أن آفات الغنى أكثر، والناجون من أهل الغنى أقل؛ إذ لا يكاد يسلم من آفاته إلا من عصمه الله؛ فلذلك عظمت

منزلة المعصوم فيه؛ لأن الشيطان يسول فيه إما في الأخذ بغير حقه، أو في الوضع في غير حقه، أو في منعه من حقه، أو في التجبر والطغيان من أجله، أو في قلة الشكر عليه، أو في المنافسة فيه إلى ما لا يبلغ صفته. وإنما ينظر يوم القيامة بين الناس فيقدم الأقل حسابًا فالأقل، فلذلك قدم الفقراء؛ لأنهم لا شيء عليهم في حساب الأموال، فيدخلون الجنة قبل الأغنياء، ثم يحاسب أصحاب الأموال فيدخلون الجنة، وينالون فيها من الدرجات ما قد لا يبلغه الفقراء.

وكذلك ليس في قوله صلى الله عليه وسلم: «اطلعت في الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء» (متفق عليه) ما يوجب فضل الفقراء، وإنما معناه أن الفقراء في الدنيا أكثر من الأغنياء، فأخبر عن ذلك كما نقول: أكثر أهل الدنيا الفقراء، لا من جهة التفضيل، وإنما هو إخبار عن الحال، وليس الفقر أدخلهم الجنة، إنما أدخلهم الله الجنة بصلاحهم مع الفقر؛ أرأيت الفقير إذا لم يكن صالحًا فلا فضل له في الفقر، وأما حديث سهل فلا يخلو أن يكون فضل الرجل الفقير على الغني من أجل فقره أو من أجل فضله، فإن كان من أجل فضله فلا حُجة فيه لمن فضّل الفقر، وإن كان من أجل فقره فكان ينبغي أن يُشترط في ملء الأرض مثله لا فقير فيهم.

ولا دليل في الحديث يدل على تفضيله عليه مع جهة فقره؛ لأنا نجد الفقير إذا لم يكن صالحًا؛ فكل غني صالح خير منه، وفي حديث خباب أن هجرتهم لم تكن لدنيا يصيبونها، ولا نعمة يستعجلونها، وإنما كانت لله؛ ليثيبهم عليها في الآخرة بالجنة والنجاة من النار، فمن قتل منهم قبل أن يفتح الله عليهم البلاد قالوا: مرّ ولم يأخذ من أجره شيئًا في الدنيا، وكان أجره في الآخرة موفرًا له، وكان الذي بقي منهم حتى فتح الله عليهم الدنيا، ونالوا من الطيبات؛ خشوا أن يكون عجّل لهم أجر طاعتهم وهجرتهم في الدنيا بما نالوا منها من النعيم؛ إذ كانوا على نعيم الآخرة أحرص.

وتركه صلى الله عليه وسلم الأكل على الخوان وأكل المرقق، فإنما فعل ذلك كأنه رفع الطيبات للحياة الدائمة في الآخرة، ولم يرض أن يستعجل في الدنيا الفانية شيئًا منها؛ أخذًا منه بأفضل الدارين، وكان قد خيّره الله بين أن يكون نبيًا عبدًا أو نبيًا ملكًا، فأختار عبدًا، فلزمه أن يفي الله بما اختاره.

والمال إنما يُرغب فيه مع مقارنة الدين ليستعان به على الآخرة، والنبي صلى الله عليه وسلم قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فلم يحتج إلى المال من هذه الوجوه، وكان قد ضمن الله له رزقه بقوله: ﴿نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى﴾ (طه: ١٣٢). وقول عائشة رضي الله عنها: «لقد توفي رسول الله وما في بيتي شيء يأكله ذو كبد، إلا شطر شعير» (متفق عليه) هو في معنى حديث أنس الذي قبله من الأخذ بالاقتصاد وبما يسد الجوعة، وفيه بركة النبي صلى الله عليه وسلم. وفيه أن الطعام المكيل يكون فناؤه معلومًا بالعلم بكيله، وأن الطعام غير المكيل فيه البركة؛ لأنه غير معلوم مقداره. (انتهى شرح صحيح البخاري لابن بطال (١٠/١٦٧ - ١٧٣)).

خلاصة القول:

مما سبق يتبين أنه لا يجوز أن يقال: إن خصلة الفقر أفضل من خصلة الغنى أو العكس، لأنهما محنتان وفتنتان، كما قال ربنا سبحانه: ﴿وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ (الأنبياء: ٣٥)، كما أن الناس ليسوا سواءً في مواجهة تلك الفتنتين، وقد ظهر ذلك جليًا في كتاب ربنا حين قال: ﴿وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا أَذَاقَهُمْ مِنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾ (الروم: ٣٣)، فذلك فريق لا يعرف ربه ولا يدعوه منيبًا متضرعًا إلا إذا كُسر ظهره في فقر ومصيبة، فإن جاءته النعمة أشرك.

وهناك فريق بخلاف ذلك، لا يعرف ربه إلا مع الغنى والنعمة، ويكون الفقر فتنة له وسقوطًا، كما قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ (الحج: ١١)، وعليه لا يُعلم أيكون الفقر سببًا للتفضيل والنجاة والسبق إلى الجنة كمن اتقى أم الغنى، علم ذلك عند ربي، والسعيد من جُنّب الفتن، غنيًا كان أو فقيرًا، والحمد لله رب العالمين.



آداب حرية

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه ومن والاه، وبعد:

فقد سبق في اللقاء السابق الحديث عن حرية الرأي والتعبير، وبينا أن الإسلام هيأ المجتمع الإسلامي كي يمارس هذا الحق بأمور بينا منها:

١- نهي الإسلام عن الاستبداد.

٢- الأمر بتبليغ الدعوة إلى الله بإخلاص وحرية، ونبين في هذا اللقاء بتوفيق الله عز وجل بقية هذه الأمور.

٣- إقرار الإسلام لمبدأ الشورى:

لقد أصبحت حرية الرأي في عصرنا الحاضر مطلبًا نادت به الحضارات الحديثة بعد أن بلغت الإنسانية رشدها، مع أن الإسلام قد منحها هذا الحق منذ أكثر من أربعة عشر قرنًا من الزمان، ولهذا نص الإعلان العالمي لحقوق الإنسان على هذا الحق، ففي أواخر النصف الأول من القرن العشرين، جاء في المادة ١٩ من هذا الإعلان: «لكل إنسان الحق في حرية الرأي والتعبير عنه، ويتضمن هذا الحق حرية اعتناق الآراء بمأمن من التدخل، وحرية التماس المعلومات والأفكار، وتلقينها وإذاعتها بمختلف الوسائل دون تقيد بحدود الدولة».



لكن الإسلام جعل حرية إبداء الرأي حقًا لكل إنسان بضوابطه التي شرعها بحيث تجعله بنّاءً لا هدّامًا، هدفه وغايته مصلحة الفرد والمجتمع يدعو إلى الحق والفضيلة، ويقوم على الحجة والبرهان، ويراعي حقوق الآخرين ومشاعرهم، ولذلك أقر الإسلام مبدأ الشورى ليأخذ به أولو الأمر في كل ما يهم الأمة في مجالات الحياة المختلفة، سياسية كانت أو اقتصادية، أو اجتماعية أو عسكرية.. إلخ.

مفهوم الشورى والديمقراطية:

الإسلام له طابعه الخاص بأحكامه الخاصة في كل ناحية من نواحي النشاط الإنساني، سواء أكانت سياسية أم اقتصادية أم اجتماعية أو غيرها، فإننا نجد بعض المتحمسين للدفاع عن الإسلام إذا وجدوا نظامًا مستحسنًا من أنظمة البشر في عصر من العصور لا يكتفون بمقارنته بالفكر الإسلامي باستخلاص أوجه الشبه، ولكنهم يذهبون إلى أبعد من ذلك، ويصفون الفكر الإسلامي به، فنجد البعض مثلاً في الناحية الاقتصادية يقول: إن الإسلام نظام اشتراكي، عندما كانت الاشتراكية تستهوي الكثير من شعوب الأرض، والبعض يقول: إن الإسلام نظام رأسمالي، عندما سيطر هذا النظام في كثير من الدول، ونجد البعض الآخر في الناحية السياسية يقول: إن الإسلام نظام ديمقراطي؛ لأن الديمقراطية سمة للحكم السياسي المستحسن، والحضارة الغربية المعاصرة قد اختارت الديمقراطية، ونظام الحكم فيها على المبدأ الديمقراطي، أن حكم الشعب بالشعب لصالح الشعب، وحكم الشعب بالشعب وللشعب، وهو ما يعبر عنه في الفكر السياسي المعاصر بأن السيادة للأمة وهي مصدر السلطات، سواء في ذلك التشريع والتنفيذ والقضاء.. إلخ.

وكان على هؤلاء جميعًا أن يفهموا الإسلام في حقيقته وجوهره وهدفه وغايته، وأن الله هو الذي خلق الإنسان، وهو الذي يعلم حاجة الناس جميعًا ومصالحهم، والإسلام دين ودولة، ينظّم الأمور الدينية والأمور الدنيوية، سواء في ذلك

الحلقة الثانية

الرأي والتعبير

العقيدة أو العبادة أو القانون أو النظم السياسية والاقتصادية، فضلاً عن قواعد الأخلاق والآداب.

وناط بالدولة مسئولية رعاية الأمور الدينية والأمور الدنيوية على حد سواء، ولذلك أقام الإسلام توازنًا بين الجانبين المادي والروحي في حياة الإنسان، وهو ما عبرت عنه الآية الكريمة: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلاَ تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلاَ تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ (القصص: ٧٧).

كما أن الإسلام جعل الدنيا سبيل الإنسان إلى نعيم الآخرة أو عذابها: ﴿وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلاً﴾ (الإسراء: ٧٢).

وهذا التكامل بين الدين والدنيا اقتضى تحقيق تكامل بين العقل والإيمان، ولذلك أطلق جمهور العلماء للعقل العنان في كافة الأمور باستثناء أمور العقيدة والعبادات والأحكام القطعية في المعاملات وغيرها، بخلاف الفكر الغربي الذي يفصل بين الدين والدولة؛ إعمالاً لقول المسيح عليه السلام: «ردوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله». ونتج عن ذلك اقتصار دور الكنيسة على الهداية الروحية والأخلاقية وشئون العبادة والعقيدة، وابتعدت عن تنظيم الأمور الدنيوية وتركتها للدولة، ونجم عن ذلك أيضًا: إعلاء شأن العقل البشري في كل الأمور الدنيوية، وترك أمور الدين لدخيلة النفوس تحت رعاية الكنيسة وحدها دون تدخل من الدولة.

وهذا الفكر هو ما يوصف بالعلمانية، ولذلك توصف الحضارة الغربية بأنها حضارة علمانية، ولقد تطرف الفكر العلماني ونادى بمحاربة الدين، ووصفه بأنه أفيون الشعوب، وهو الفكر الشيوعي.

وقد ترتب على اختلاف الأصول الحضارية اختلاف الغايات والأهداف، واختلاف الوسائل والأدوات القانونية

إعداد/ سعيد عامر

أمين عام لجنة الفتوى بالأزهر الشريف

والاقتصادية والسياسية لتحقيقها، فالحضارة الغربية غاياتها نفعية محضة، ففصلت بين القانون والدين والأخلاق، أما الحضارة الإسلامية فغاياتها مثالية فجمعت بينهما في كيان واحد.

ولذلك وجب علينا أن نعلم مفهوم الشورى في الإسلام، ومقارنتها بالديمقراطية التي تقوم عليها نظم الحكم في الحضارة الغربية، وبيان مدى التعايش بين الشورى والديمقراطية في ظل العولمة، رغم اختلاف الأسس التي تقوم عليها الحضارتان.

مفهوم الديمقراطية:

من المعلوم أن نظام الحكم في أي مجتمع وفي أي عصر لا يُكتب له النجاح إلا إذا استهدف تحقيق أمرين:

الأول: تمكين الفرد من المشاركة في القرارات المصيرية التي تهمه وتهم المجتمع كله.

الثاني: حصول الفرد على نصيب عادل من ثروة بلاده.

وقد اختلفت نظم الحكم في كيفية تحقيق هذين الهدفين.

فالحضارة الغربية المعاصرة اختارت الديمقراطية كوسيلة لتحقيق الهدفين، أي حكم الشعب بالشعب وللشعب، وهو ما يعبر عنه بأن السيادة للأمة وهي مصدر السلطات، ويمارس الشعب سيادته عن طريق نواب ينتخبهم ويُكوِّنون ما يسمى بالبرلمان.



ويتفرع عن المبدأ الديمقراطي مبدأ سيادة القانون كأساس للحكم،

بحيث تخضع الدولة في سائر تصرفاتها للقانون، ويكون للقضاء استقلاله، وحصانته، الأمر الذي يؤدي إلى صون الحقوق والحريات العامة.

وضمانًا لإعمال المبدأ الديمقراطي، يقوم نظام الحكم في الديمقراطية الغربية على مبدأ تعدد الأحزاب السياسية، سواء بصورة مطلقة أم بصورة مقيدة، فأكثرها يطلق حرية تكوين الأحزاب، سواء نادت بمبادئ وبرامج تتفق مع الدستور، أم تخالفه، وبعض البلاد الغربية يقيد حرية الأحزاب فيما تدعو إليه من مبادئ، وبجانب التعددية الحزبية وضع آليات وأدوات قانونية تسمح بتداول السلطة بين الأحزاب في سهولة ويسر تبعًا لما تسفر عنه الانتخابات. فالشعب في ظل النظام الديمقراطي له السيادة الكاملة، فبرأيه توضع القوانين وتغير، فكل قانون يرفضه عقل الشعب فباستطاعته إلغاؤه، وسن قانون جديد يتلاقى مع أهدافه وأمانيه.

مفهوم الشورى:

وضع الإسلام مبادئ عامة لنظام الحكم من أهمها: مبدأ الشورى، ولم يحدد الإسلام طريقة معينة للشورى لا يصح سواها، وإنما ترك ذلك للمسلمين أنفسهم يختارون ما يتناسب مع ظروفهم وعصرهم.

والإسلام لأنه الدين الخاتم، لم يترك أي سلوك من سلوك الإنسان إلا وبيّن الحكم الشرعي فيه، ولكن لأن الوقائع والقضايا والأحداث غير محدودة، فإننا نجد أن الشريعة الإسلامية تبين الحكم بالتفصيل في الأمور التي لا تتغير فيها وجوه المصلحة من عصر إلى عصر، كتقسيم التركات، والعقوبات، وحقوق الزوج والزوجة، وواجبات كل منهما، ونظام الوصية... إلخ كل ذلك لم يتركه الله لاجتهادات البشر، بل بيّنه الإسلام وفصّله.

أما الأمور التي تتغير فيها وجوه المصلحة في التفاصيل من عصر إلى عصر، فإننا نجد الإسلام يبين فيها الأصل العام، والقواعد العامة التي تنظم حياة الإنسان وأنشطته في الاقتصاد، معاملات الناس، السياسة، الحكم، العلم، الفكر... وسائر مناحي الإنسان وحركته في المجتمع البشري، تؤصل للشريعة



في هذه المجالات قواعد عامة، تقصد إلى تحقيق مصالحهم الدنيوية والأخروية، وتترك للناس لتحقيق ذلك حرية اختيار الصورة الملائمة لهم، ويتجلى ذلك مثلاً في إيجاب الإسلام أن تتحقق العدالة بين الناس، فالدولة الإسلامية ترتكز على قواعد: إحداها العدل، ولكن كيف يتحقق العدل، لم يحدد للناس شكلاً معينًا، بل أوجب على المسلمين أن يقيموا القضاء بينهم على أي صورة كان ذلك القضاء، ما دام الغرض المنشود قد تحقق، وهو تحقيق العدل بين الناس، فالقرآن والسنة يبينان وجوب أن تشمل العدالة كل أنحاء الدولة الإسلامية، حتى في التعامل مع الأعداء.

لكن هل يكون تحقيق العدل عن طريق تخصيص قضاة للقضايا الجنائية، وآخرين للمسائل المدنية، وآخرين للأحوال الشخصية.. إلخ. أم يكون ذلك بغير هذا التخصيص؟ ذلك متروك إلى الدولة، تختار فيه ما تراه مناسبًا لها، ما دام أمر الشارع في النهاية متحققًا، وهو العدل بين أفراد البشر مسلمين وغير مسلمين، بشرط أن يكون الإطار العام الذي يضم هذا النظام إسلاميًا حقيقيًا خاضعًا للقواعد والأصول العامة التي قررتها شريعة الإسلام، لا تشوبه شائبة في صفاته وسمو غرضه.

والشورى مبدأ أوجبه الله في القرآن: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ (الشورى: ٣٨). ونزلت هذه الآية في امتداح خصال الأنصار.

وأكدت السنة القولية والفعلية هذا المبدأ الإسلامي من ذلك حديث: «ما تشاور قوم قط إلا هدوا لأرشد أمرهم» (ابن أبي شيبة في المصنف ٢٩٨/٥ وضعفه الألباني)، «استعينوا على أموركم بالمشاورة»، «ما ندم من استشار ولا خاب من استخار» (الطبراني في الأوسط (٣٦٥/٦) وقال الألباني: موضوع).

وأحداث التاريخ تقطع بأن الرسول صلى الله عليه وسلم كان كثير المشورة، وجرى الخلفاء الراشدون على ذات النهج في المشاورة، وهذا ما سنفصله في المقال القادم مع كيفية حدوث الشورى.

وصلى الله وبارك على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

باب
الفقه

أحكام الحيض

الحلقة الرابعة

إعداد: د/ حمدي طه

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه ومن والاه، وبعدُ:

فقد بدأنا في العدد السابق في بيان ما حرم على الحائض والنفساء، وفي هذا العدد نتحدث عن باقي ما يحرم على الحائض والنفساء، وقد سلكت مسلك البسط في ذكر الأقوال والأدلة لأهمية هذه المسائل بالنسبة للرجال والنساء على السواء.

٧- الاسْتِمْتَاعُ بِالْحَائِض:

اتَّفَقَ الْفُقَهَاءُ عَلَى حُرْمَةِ وَطْءِ الْحَائِضِ في الْفَرْجِ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ﴾، وسبب نزول الآية ما صح عَنْ أَنَسٍ أَنَّ الْيَهُودَ كَانُوا إِذَا حَاضَتِ الْمَرْأَةُ فِيهِمْ لَمْ يُؤَاكِلُوهَا وَلَمْ يُجَامِعُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ، فَسَأَلَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ﴾ إلى آخر الآيَةِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «اصْنَعُوا كُلَّ شَيْءٍ إِلَّا النِّكَاحَ». فَبَلَغَ ذَلِكَ الْيَهُودَ، فَقَالُوا: مَا يُرِيدُ هَذَا الرَّجُلُ أَنْ يَدَعَ مِنْ أَمْرِنَا شَيْئًا إِلَّا خَالَفَنَا فِيهِ، فَجَاءَ أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ وَعَبَّادُ بْنُ بِشْرٍ فَقَالَا: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ الْيَهُودَ تَقُولُ كَذَا وَكَذَا. فَلَا نُجَامِعُهُنَّ. فَتَغَيَّرَ وَجْهُ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم حَتَّى ظَنَنَّا أَنْ قَدْ وَجَدَ عَلَيْهِمَا، فَخَرَجَا فَاسْتَقْبَلَهُمَا هَدِيَّةٌ مِنْ لَبَنٍ إِلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فَأَرْسَلَ فِي آثَارِهِمَا فَسَقَاهُمَا، فَعَرَفَا أَنْ لَمْ يَجِدْ عَلَيْهِمَا». (مسلم ٣٠٢).

وَحَكَى عدد كبير من أهل العلم الإِجْمَاعَ عَلَى ذَلِكَ، منهم الطبري وابن حزم والقرطبي والنَّوَوِيُّ.

وَاخْتَلَفَ الْفُقَهَاءُ فِي الاسْتِمْتَاعِ بِمَا بَيْنَ السُّرَّةِ وَالرُّكْبَةِ، فَذَهَبَ جُمْهُورُ الْفُقَهَاءِ - الْحَنَفِيَّةُ وَالْمَالِكِيَّةُ وَالشَّافِعِيَّةُ - إِلَى حُرْمَةِ الاسْتِمْتَاعِ بِمَا بَيْنَ السُّرَّةِ وَالرُّكْبَةِ؛ لحديث عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: كَانَتْ إِحْدَانَا إِذَا كَانَتْ حَائِضًا فَأَرَادَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يُبَاشِرَهَا أَمَرَهَا أَنْ تَتَّزِرَ ثُمَّ يُبَاشِرُهَا. قَالَتْ: وَأَيُّكُمْ يَمْلِكُ إِرْبَهُ كَمَا كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَمْلِكُ إِرْبَهُ. (أبو داود ٢١٦٧ وصححه الألباني).

ولقوله صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن سعد حينما سأله: ما يحل لي من امرأتي، وهي حائض؟ قال: «لك ما فوق الإزار» (أبو داود ٢١٢ وصححه الألباني).

ولأن الاستمتاع بما تحت الإزار يدعو إلى الجماع، فحرم لخبر الصحيحين عن النعمان بن بشير: «من حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه» (متفق عليه). فَمَنْ يَرْعَى حَوْلَ الْحِمَى يُوشِكُ أَنْ يُخَالِطَ الْحِمَى.

والإزار: الثوب الذي يستر وسط الجسم وما دونه، وهو ما بين السرة والركبة غالبًا، فما عدا ذلك جائز بالذكر أو القبلة أو المعانقة أو اللمس أو غير ذلك. وَذَهَبَ الْحَنَابِلَةُ إِلَى جَوَازِ الاسْتِمْتَاعِ مِنَ الْحَائِضِ بِمَا دُونَ الْفَرْجِ، فَلَهُ أَنْ يَسْتَمْتِعَ بِمَا بَيْنَ السُّرَّةِ وَالرُّكْبَةِ، وَهَذَا مِنْ مُفْرَدَاتِ الْمَذْهَبِ. وقال ابن حزم: وللرجل أن يتلذذ من امرأته الحائض بكل شيء، حاشا الإيلاج في الفرج. (المحلى ٥/ ٣٤٢) ومال إلى ذلك النووي في شرح مسلم فقال وهو الأقوى دليلاً. (٥١٢/١).

وَيُسْتَحَبُّ لَهُ حِينَئِذٍ سَتْرُ الْفَرْجِ عِنْدَ الْمُبَاشَرَةِ، وَلَا يَجِبُ عَلَى الصَّحِيحِ مِنَ الْمَذْهَبِ، وَصَوَّبَ الْمَرْدَاوِيُّ أَنَّهُ إِذَا لَمْ يَأْمَنْ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ ذَلِكَ، حَرُمَ عَلَيْهِ لِئَلَّا يَكُونَ طَرِيقًا إِلَى مُوَاقَعَةِ الْمَحْظُورِ. واحتج الحنابلة لمذهبهم بقوله صلى الله عليه وسلم في حديث أنس:

«اصنعوا كل شيء إلا النكاح» وعن عكرمة عن بعض أزواج النبي صلى الله عليه وسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا أراد من الحائض شيئا ألقى على فرجها ثوبًا. (أبو داود ٢٧٢ وصححه الألباني).

قلت: وما ذهب إليه الحنابلة أرجح، وما ذهب إليه الجمهور أحوط.

كفارة وطء الحائض ونحوها:

يرى المالكية والحنفية والشافعية في المذهب الجديد: أنه لا كفارة على من وطئ حائضاً ونحوها، بل الواجب عليه الاستغفار والتوبة؛ لأن الأصل البراءة، فلا ينتقل عنها إلا بحجة، وحديث الكفارة مضطرب، ولأنه وطء محرم للأذى، فلم تتعلق به الكفارة كالوطء في الدبر. وهو مذهب أهل الظاهر قال ابن حزم: ومن وطئ حائضًا عامدًا أو جاهلاً، فقد عصى الله تعالى في العمد، وليس عليه في ذلك شيء لا صدقة ولا غيرها إلا التوبة والاستغفار. (المحلى ١٦٢/٣).

ويرى الحنابلة في أرجح الروايتين عن أحمد: أنه تجب الكفارة على من وطئ امرأته في أثناء الحيض أو النفاس، والكفارة واجبة ولو كان الوطء من ناس ومكره وجاهل الحيض أو التحريم، أو كلاهما، ولا تجب الكفارة بوطئها بعد انقطاع الدم. والكفارة دينار أو نصف دينار على سبيل التخيير، أيهما أخرج أجزأه، لما روي عن ابن عباس رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم: في الذي يأتي امرأته، وهي حائض: «يتصدق بدينار أو نصف دينار» (أبو داود ٢٦٤ وصححه الألباني) وتسقط كفارة الوطء في الحيض بعجز عنها، ككفارة الوطء في رمضان.

وَطْءُ الْحَائِضِ بَعْدَ انْقِطَاعِ الْحَيْضِ:

ذَهَبَ جُمْهُورُ الْفُقَهَاءِ - الْمَالِكِيَّةُ وَالشَّافِعِيَّةُ وَالْحَنَابِلَةُ - إِلَى أَنَّهُ لاَ يَحِل وَطْءُ الْحَائِضِ حَتَّى تَطْهُرَ - يَنْقَطِعَ الدَّمُ - وَتَغْتَسِل، فَلاَ يُبَاحُ وَطْؤُهَا قَبْل الْغُسْل، قَالُوا: لأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى شَرَطَ لحل الْوَطْءِ شَرْطَيْنِ: انْقِطَاعَ الدَّمِ، وَالْغُسْل، فَقَال تَعَالَى: ﴿وَلاَ تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ﴾ أَيْ يَنْقَطِعَ دَمُهُنَّ. ﴿فَإِذَا تَطَهَّرْنَ﴾ أي اغْتَسَلْنَ بِالْمَاءِ ﴿فَأْتُوهُنَّ﴾. وَقَدْ صَحَّ هذا التفسير عن غير واحد من التابعين كمجاهد. وَفَرَّقَ الْحَنَفِيَّةُ بَيْنَ أَنْ يَنْقَطِعَ الدَّمُ لأَكْثَرِ مُدَّةِ الْحَيْضِ وَبَيْنَ أَنْ يَنْقَطِعَ لأَقَلِّهِ، وَكَذَا بَيْنَ أَنْ يَنْقَطِعَ لِتَمَامِ عَادَتِهَا، وَبَيْنَ أَنْ يَنْقَطِعَ قَبْل عَادَتِهَا. ولا يوجد دليل صحيح من كتاب أو سُنة على صحة هذا التقسيم وما ذهب إليه جمهور الفقهاء هو الأقوى دليلاً.

طَلاَقُ الْحَائِضِ:

اتَّفَقَ الْفُقَهَاءُ عَلَى أَنَّ إِيقَاعَ الطَّلاَقِ فِي فَتْرَةِ الْحَيْضِ حَرَامٌ، وَهُوَ أَحَدُ أَقْسَامِ الطَّلاَقِ الْبِدْعِيِّ لِنَهْيِ الشَّارِعِ عَنْهُ، لِمُخَالفته قَوْله تَعَالَى: ﴿يا أيها النبي إذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن﴾ أَيْ فِي الْوَقْتِ الَّذِي يَشْرَعْنَ فيه فِي الْعِدَّةِ. ولما روي عن ابن عمر: «أنه طلق امرأته، فذكر عمر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم، فقال: مره فليراجعها، ثم ليطلقها طاهراً أو حاملاً» (مسلم ١٤٧١)، وَلأَنَّ فِي إِيقَاعِ الطَّلاَقِ فِي زَمَنِ الْحَيْضِ ضَرَرًا بِالْمَرْأَةِ لِتَطْوِيلِ الْعِدَّةِ عَلَيْهَا حَيْثُ لا تبدأ العدة إذا طلق الرجل زوجته في أثناء الحيض، لقوله تعالى: ﴿والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء﴾ (البقرة: ٢٢٨) وبعض القرء ليس بقرء. أما بعد انقطاع الدم وقبل الغسل فيحل الطلاق.

فائدة في الفرق بين طلاق السنة وطلاق البدعة: قال القرطبي: قال علماؤنا: طلاق السنة ما جمع شروطًا سبعة: وهو أن يطلقها واحدة، وهي ممن تحيض، طاهرًا، لم يمسها في ذلك الطهر، ولا تقدمه طلاق في حيض، ولا تبعه طلاق في طهر يتلوه، وخلا عن العوض. وهذه الشروط السبعة من حديث ابن عمر. (الجامع لأحكام القرآن ١٥٢/١٨).

مسألة هل يقع طلاق المرأة الحائض؟

ذَهَبَ جُمْهُورُ الْفُقَهَاءِ من الأئمة الأربعة وغيرهم إِلَى وُقُوعِ الطَّلاَقِ فِي زَمَنِ الْحَيْضِ، وذهب بعض الفقهاء كابن حزم وابن تيمية وابن القيم إلى عدم وُقُوعِ الطَّلاَقِ فِي زَمَنِ الْحَيْضِ. (أحكام الفرقة بين الزوجين د. محمد وفا ص٣١).

واستدل الجمهور بحديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: طلقت امرأتي وهي حائض فأتى عمر النبي صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له، فقال: ليراجعها، فإذا طهرت فإن شاء فليطلقها. قال قلت لابن عمر أفيحسب بها. قال: ما يمنعه أرأيت إن عجز واستحمق. وأخرجه الدارقطني عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: هي واحدة. أخرجه أحمد ومسلم.

قال الحافظ في الفتح: وهذا في موضع الخلاف فيجب المصير إليه. (الفتح: ٣٥٢/٩).

وفي رواية متفق عليها « وكان عبد الله طلق تطليقة فحسبت من طلاقها»، وفي رواية « كان ابن عمر إذا سئل عن ذلك قال لأحدهم أما إن طلقت امرأتك مرة أو مرتين فإن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أمرني بهذا، وإن كنت طلقت ثلاثًا فقد حرمت عليك حتى تنكح زوجًا غيرك وعصيت الله عز وجل فيما أمرك به من طلاق امرأتك » رواه أحمد ومسلم والنسائي.

واستدل القائلون بعدم وقوع الطلاق في الحيض بزيادة وردت في حديث ابن عمر عند أبي داود في سننه وهي: (فردها عليَّ رسول الله ولم يرها شيئًا) ورد الجمهور بأن هذه الزيادة

شاذة ولا تصلح للاحتجاج قال ابن عبد البر: قوله: (ولم يرها شيئًا) منكر لم يقله غير أبي الزبير وليس بحجة فيما خالفه فيه مثله، فكيف بمن هو أثبت منه ولو صح فمعناه عندي والله أعلم ولم يرها شيئًا مستقيمًا؛ لكونها لم تقع على السنة. (فتح الباري لابن حجر ٩/٣٥٣).

واستدلوا أيضًا بقوله صلى الله عليه وسلم: (من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد). قالوا: ولما كان الطلاق في حال الحيض ليس موافقًا للشرع يكون مردودًا على صاحبه، ولا يترتب على المردود طلاق. ورد الجمهور بأن معنى الرد في الحديث عدم الثواب عليه، وعدم قبوله، ولا يلزم من عدم القبول عدم صحة العمل إذا وقع فإن الصلاة في الأرض المغصوبة أو الثوب المسروق صحيحة ولكن لا ثواب عليها. (أحكام الفرقة بين الزوجين د. محمد وفا ص ٣٢).

وبعد عرض أدلة الفريقين يتبين قوة أدلة جمهور الفقهاء من الأئمة الأربعة وغيرهم وأن ما استدل به ابن حزم وغيره لا يعدو كونه تشغيبًا لا يرقى لمناهضة أدلة الجمهور، وعلى ذلك فإني أرى أن هذا الخلاف ضعيف، وأن الفتوى بعدم وقوع الطلاق في الحيض فيه مجازفة كبيرة ممن يترخص في الفتوى به.

الطواف:

يحرم على الحائض والنفساء الطواف بالبيت الحرام؛ لقوله صلى الله عليه وسلم لعائشة رضي الله عنهما: «إذا حضت، افعلي ما يفعل الحاج، غير ألا تطوفي بالبيت حتى تطهري» (مسلم ١٢١١) وهذا محل اتفاق بين أهل العلم، ولكن هناك مسألة من الأهمية بمكان نذكرها هاهنا مع أنها من المسائل التي تتعلق بالحج وهي إذا حاضت المرأة في الحج فهل يسقط عنها الطواف؟

هذه المسألة من المسائل التي بحثها العلماء قديمًا وحديثًا لحاجة كثير من النساء اللاتي يتوافدن لحج بيت الله الحرام ويكن مرتبطات برحلات لا يستطعن التخلف عنها فتحيض إحداهن ولا تعرف ماذا تفعل؟ وقبل معرفة حكم هذه المسألة نقول: إن الأطوفة المشروعة في الحج ثلاثة: طواف القدوم، وطواف الإفاضة (أو الزيارة، أو طواف الركن)، وطواف الوداع (أو طواف الصَّدر) وهو طواف آخر العهد بالبيت، سمي بذلك لأنه يودَع البيت ويصدُرُ به. وما زاد على هذه الأطوفة فهو نفل.

هذا.. وقد أجمعوا على أن المكي ليس عليه إلا طواف الإفاضة. كما أجمعوا على أنه ليس على المعتمر إلا طواف العمرة. وأجمعوا على أن المتمتع عليه طوافان: طواف للعمرة لحله منها، وطواف للحج، يوم النحر. أما المفرد للحج فليس عليه إلا طواف واحد يوم النحر، ويجب عليه عند المالكية القدوم أيضاً إن اتسع الوقت له، ويسن ذلك عند الجمهور.

أما طواف القدوم: فهو سنة عند جمهور الفقهاء لحاج دخل مكة قبل الوقوف بعرفة، سواء أكان مفرداً أم قارناً، وأما طواف الإفاضة أو الزيارة: فهو ركن باتفاق الفقهاء، لا يتم الحج إلا به، لقوله عز وجل: ﴿وليطوفوا بالبيت العتيق﴾ (الحج:٢٩). قال ابن عبد البر: هو من فرائض الحج، لا خلاف في ذلك بين العلماء. وأما طواف الوداع لمن أراد الخروج من مكة: فهو مندوب عند المالكية؛ وواجب عند باقي المذاهب. (الفقهُ الإسلاميُّ وأدلَّتُه أ.د. وَهْبَة الزُّحَيْلِيّ ٣/٥١٦).

إذا كان الطواف يحرم على الحائض والنفساء فهل يسقط عنها؟

اعلم أخي القارئ وأختي القارئة أن ذلك مرجعه إلى نوع الطواف الذي عليها فعله فإذا حاضت المرأة أو نفست عند أول حجها سقط عنها طواف القدوم؛ لأنه سنة ولقوله صلى الله عليه وسلم لعائشة: افعلي ما يفعل الحاج... الحديث.

أما إذا حاضت المرأة أو نفست قبل أن تنفر من مكة فلا تخلو من أمرين، إما أن تكون طافت طواف الإفاضة ولم تطف طواف الوداع، ففي هذه الحالة تكتفي بطواف الإفاضة، فقد اتفق الفقهاء على أن للحائض أن تنفر بلا طواف وَدَاع، تخفيفا عليها لحديث عائشة قالت حاضت صفية بنت حيي بعد ما أفاضت قالت عائشة: فذكرت حيضتها لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أحابستنا هي؟! قالت: فقلت: يا رسول الله إنها قد كانت أفاضت وطافت بالبيت، ثم حاضت بعد الإفاضة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فلتنفر).

قال ابن قدامة: والمرأة إذا حاضت قبل أن تودع خرجت ولا وداع عليها هذا قول عامة فقهاء الأمصار. (المغني - ابن قدامة ٣/٤٨٩).

أما إذا لم تطف طواف الإفاضة: وهو ركن بالإجماع كما سبق، فماذا تفعل المرأة في هذه الحالة؟ إن من أفضل من بحث هذه المسألة العلامة ابن القيم في كتابه الماتع إعلام الموقعين، وسأنقل عنه بعض ما كتبه في هذه المسألة وعلى من أراد الاستزادة فعليه الرجوع إلى الكتاب.

قال رحمه الله بعد أن أورد حديث عائشة السابق: فَظَنَّ مَنْ ظَنَّ أَنَّ هَذَا حُكْمٌ عَامٌّ فِي جَمِيعِ الْأَحْوَالِ وَالْأَزْمَانِ، وَلَمْ يُفَرِّقْ بَيْنَ حَالِ الْقُدْرَةِ وَالْعَجْزِ، وَلَا بَيْنَ زَمَنِ إمْكَانِ الِاحْتِبَاسِ لَهَا حَتَّى تَطْهُرَ وَتَطُوفَ وَبَيْنَ الزَّمَنِ الَّذِي لَا يُمْكِنُ فيه ذَلِكَ، وَتَمَسَّكَ بِظَاهِرِ النَّصِّ، وَرَأَى مُنَافَاةَ الْحَيْضِ لِلطَّوَافِ كَمُنَافَاتِه لِلصَّلَاةِ وَالصِّيَامِ؛ إذْ نَهْيُ الْحَائِضِ عَنْ الْجَمِيعِ سَوَاءٌ، وَنَازَعَهُمْ فِي ذَلِكَ فَرِيقَانِ: أَحَدُهُمَا: صَحَّحَ الطَّوَافَ

مَعَ الْحَيْضِ، وَلَمْ يَجْعَلُوا الْحَيْضَ مَانِعًا مِنْ صِحَّتِه، بَلْ جَعَلُوا الطَّهَارَةَ وَاجِبَةً تُجْبَرُ بِالدَّمِ وَيَصِحُّ الطَّوَافُ بِدُونِهَا وهو قول أبي حَنِيفَةَ وَأَصْحَابِهِ وَأَحْمَدُ فِي إِحْدَى الرِّوَايَتَيْنِ عَنْهُ وَهِيَ أَنَصُّهُمَا عَنْهُ، وَهَؤُلاَء لَمْ يَجْعَلُوا ارْتِبَاطَ الطَّهَارَةِ بِالطَّوَافِ كَارْتِبَاطِهَا بِالصَّلاَةِ ارْتِبَاطَ الشَّرْطِ بِالْمَشْرُوطِ، بَلْ جَعَلُوهَا وَاجِبَةً مِنْ وَاجِبَاتِه، وَارْتِبَاطُهَا به كَارْتِبَاطِ وَاجِبَاتِ الْحَجِّ بِه يَصِحُّ فِعْلُهُ مَعَ الإِخْلاَلِ بِهَا وَيَجْبُرُهَا الدَّمُ، وَالْفَرِيقُ الثَّانِي جَعَلُوا وُجُوبَ الطَّهَارَةِ لِلطَّوَافِ وَاشْتِرَاطَهَا بِمَنْزِلَةِ وُجُوبِ السُّتْرَةِ وَاشْتِرَاطِهَا، بَلْ بِمَنْزِلَةِ سَائِرِ شُرُوطِ الصَّلاَةِ وَوَاجِبَاتِهَا الَّتِي تَجِبُ وَتُشْتَرَطُ مَعَ الْقُدْرَةِ وَتَسْقُطُ مَعَ الْعَجْزِ، قَالُوا: وَلَيْسَ اشْتِرَاطُ الطَّهَارَةِ لِلطَّوَافِ أَوْ وُجُوبُهَا لَهُ أَعْظَمَ مِنْ اشْتِرَاطِهَا لِلصَّلاَةِ، فَإِذَا سَقَطَتْ بِالْعَجْزِ عَنْهَا فَسُقُوطُهَا فِي الطَّوَافِ بِالْعَجْزِ عَنْهَا أَوْلَى وَأَحْرَى، قَالُوا: وَقَدْ كَانَ فِي زَمَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَخُلَفَائِهِ الرَّاشِدِينَ تَحْتَبِسُ أُمَرَاءُ الْحَجِّ لِلْحُيَّضِ حَتَّى يَطْهُرْنَ وَيَطُفْنَ.

من المقرر شرعا أن الْعَاجِزَ عَنْ الشَّرْطِ وَالرُّكْنِ فإنَّهُ لا يُؤْمَرُ بِإِعَادَةِ الْعِبَادَةِ مَعَهُ إذَا قَدَرَ عَلَيْهِ؛ فهذه إذا لَمْ يُمْكِنْهَا إلاَّ الطَّوَافُ عَلَى غَيْرِ طَهَارَةٍ وَجَبَ عَلَيْهَا مَا تَقْدِرُ عَلَيْهِ وَسَقَطَ عَنْهَا مَا تَعْجِزُ عَنْهُ، كما قال تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ وَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إذَا أَمَرْتُكُمْ بِأَمْرٍ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ) وَهَذِهِ لا تَسْتَطِيعُ إلاَّ هَذَا، وَقَدْ اتَّقَتْ اللهَ مَا اسْتَطَاعَتْ؛ فَلَيْسَ عَلَيْهَا غَيْرُ ذَلِكَ بِالنَّصِّ وَقَوَاعِدِ الشَّرِيعَةِ، وأيضا فإِنَّ الْفَوَارِقَ بَيْنَ الطَّوَافِ وَالصَّلاَةِ أَكْثَرُ مِنْ الْجَوَامِعِ، فَإِنَّهُ يُبَاحُ فِيهِ الْكَلاَمُ وَالأَكْلُ وَالشُّرْبُ وَالْعَمَلُ الْكَثِيرُ، وَلَيْسَ فِيهِ تَحْرِيمٌ وَلا تَحْلِيلٌ وَلا رُكُوعٌ وَلا سُجُودٌ وَلا قِرَاءَةٌ وَلا تَشَهُّدٌ، وَلا تَجِبُ لَهُ جَمَاعَةٌ، وَإِنَّمَا اجْتَمَعَ هُوَ وَالصَّلاَةُ فِي عُمُومِ كَوْنِهِ طَاعَةً وَقُرْبَةً، وَخُصُوصِ كَوْنِهِ مُتَعَلِّقًا بِالْبَيْتِ، وَهَذَا لا يُعْطِيهِ شُرُوطَ الصَّلاَةِ كَمَا لا يُعْطِيهِ وَاجِبَاتِهَا وَأَرْكَانَهَا.

وَبِالْجُمْلَةِ فَالْكَلاَمُ فِي هَذِهِ الْحَادِثَةِ فِي فَصْلَيْنِ؛ أَحَدُهُمَا: فِي اقْتِضَاءِ قَوَاعِدِ الشَّرِيعَةِ لَهَا لا لِمُنَافَاتِهَا، وَقَدْ تَبَيَّنَ ذَلِكَ بِمَا فِيهِ كِفَايَةٌ، وَالثَّانِي: فِي أَنَّ كَلاَمَ الأَئِمَّةِ وَفَتَاوِيهِمْ فِي الاشْتِرَاطِ وَالْوُجُوبِ إنَّمَا هُوَ فِي حَالِ الْقُدْرَةِ وَالسَّعَةِ لا فِي حَالِ الضَّرُورَةِ وَالْعَجْزِ؛ فَالإِفْتَاءُ بِهَا لا يُنَافِي نَصَّ الشَّارِعِ، وَلا قَوْلَ الأَئِمَّةِ، وَغَايَةُ الْمُفْتِي بِهَا أَنَّهُ يُقَيِّدُ مُطْلَقَ كَلاَمِ الشَّارِعِ بِقَوَاعِدِ شَرِيعَتِهِ وَأُصُولِهَا، وَمُطْلَقَ كَلاَمِ الأَئِمَّةِ بِقَوَاعِدِهِمْ وَأُصُولِهِمْ، فَالْمُفْتِي بِهَا مُوَافِقٌ لأُصُولِ الشَّرْعِ وَقَوَاعِدِهِ، وَلِقَوَاعِدِ الأَئِمَّةِ (انتهى من إعلام الموقعين بتصرف ١٨٧/٣).

مسألة إنزال الحيض أو رفعه بالدواء

هذه المسألة من المسائل التي يكثر الحديث عنها خاصة عند إقبال شهر رمضان، وكذا عند وقت الحج، وهي من المسائل التي بحثها العلماء قديمًا. أخرج عبد الرزاق في مصنفه عن ابن جريج قال: سئل عطاء عن امرأة تحيض يجعل لها دواء فترتفع حيضتها وهي في قرئها كما هي تطوف؟ قال: نعم إذا رأت الطهر، فإذا هي رأت خفوقًا ولم تر الطهر الأبيض فلا. وقال معمر: وسمعت ابن أبي نجيح يسأل عن ذلك فلم ير به بأسًا. (المصنف: ١٢٢٠).

وروى عن أحمد أنه قال: لا بأس أن تشرب المرأة دواء يقطع عنها الحيض أن كان دواء معروفًا. (المغني لابن قدامة: ٨٦٣/١).

وعلى ذلك فإذا احتاجت المرأة دواء خاصة في الحج، إذا كانت تظن أن يأتيها الحيض قبل الطواف فلا حرج عليها أن تأخذ هذا الدواء لمنع الحيض حتى تقضي مناسكها، وقد أفتى بذلك غير واحد من أهل العلم من المعاصرين. (انظر: فتاوى الأزهر ١/ ١٩٨، وفتاوى اللجنة الدائمة ٥/ ٤٠٠).

ما يحل بانقطاع الدم:

- إذَا انْقَطَعَ دَمُ الْحَيْضِ لَمْ يَحِل مِمَّا حَرُمَ غَيْرُ الصَّوْمِ وَالطَّلاقِ، وَلَمْ يُبَحْ غَيْرُهُمَا حَتَّى تَغْتَسِل وَإِنَّمَا أُبِيحَ الصَّوْمُ وَالطَّلاقُ بِالانْقِطَاعِ دُونَ الْغُسْل، أَمَّا الصَّوْمُ فَلأَنَّ تَحْرِيمَهُ بِالْحَيْضِ لا بِالْحَدَثِ بِدَلِيل صِحَّتِهِ مِنَ الْجُنُبِ، وَقَدْ زَال، وَأَمَّا بِالطَّلاقِ فَلِزَوَال الْمَعْنَى الْمُقْتَضِي لِلتَّحْرِيمِ وَهُوَ تَطْوِيل الْعِدَّةِ. (الفِقْهُ الإِسلاميُّ وأدلَّتُهُ أ.د. وَهْبَة الزُّحَيْلِيّ ٥١٨/٣).

الفرق بين الحيض والنفاس: يفترق الحيض عن النفاس في أمور:

١- الاعتداد بالحيض عند الحنفية والحنابلة؛ لأن انقضاء العدة بالقروء والنفاس ليس بقرء.

٢- النفاس لا يوجب البلوغ، لحصوله قبله بالحمل؛ لأن الولد ينعقد من الرجل والمرأة، لقوله تعالى: ﴿خلق من ماء دافق (٦) يخرج من بين الصلب والترائب﴾ (الطارق:٦-٧).

٣- لا تحتسب مدة النفاس على المولي في مدة الإيلاء، والإيلاء: هو أن يحلف الزوج بالله تعالى أو بصفة من صفاته: ألا يقرب زوجته أربعة أشهر أو أكثر، أو يعلق على قربانها أمراً فيه مشقة على نفسه، كالصيام أو الحج أو الإطعام.

في قوله تعالى: ﴿للذين يؤلون من نسائهم تربُّص أربعة أشهر﴾ (البقرة:٢٢٦)؛ لأنه ليس بمعتاد، بخلاف الحيض. (الفقه الإسلامي وأدلته وهبة الزحيلي ٥١٩/٣).

٤- الْحَيْضُ يَكُونُ اسْتِبْرَاءً، بِخِلاَفِ النِّفَاسِ.

٥- الْحَيْضُ لاَ يَقْطَعُ التَّتَابُعَ فِي صَوْمِ الْكَفَّارَةِ، بِخِلاَفِ النِّفَاسِ.

٦- يَحْصُل بِالْحَيْضِ الْفَصْل بَيْنَ طَلاَقَيِ السُّنَّةِ وَالْبِدْعَةِ بِخِلاَفِ النِّفَاسِ. (الموسوعة الفقهية الكويتية١٨ /٣٢٨).

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

قصة لقمان الحكيم مع نبي الله داود عليه السلام

إعداد/ علي حشيش

نواصل في هذا التحذير تقديم البحوث العلمية الحديثية حتى يقف القارئ الكريم على حقيقة هذه القصة، والتي ذكرها بعض المفسرين واشتهرت على ألسنة القصاص والوعاظ، وإلى القارئ الكريم التخريج والتحقيق:

أولاً: متن القصة:

رُوِيَ عن أبي مسلم الخولاني قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن لقمان كان عبدًا كثير التفكر، حسن الظن، كثير الصمت، أحب الله فأحبه الله تعالى، فمنَّ عليه بالحكمة ونُودي بالخلافة قبل داود عليه السلام، فقيل له: يا لقمان، هل لك أن يجعلك الله خليفة تحكم بين الناس بالحق؟ قال لقمان: إن أخبرني ربي عز وجل قبلت، فإني أعلم أنه إن فعل ذلك أعانني وعلمني، وعصمني، وإن خيرني ربي قبلت العافية ولم أسأل البلاء، فقالت الملائكة: يا لقمان، لمَ؟ قال: لأن الحاكم بأشد المنازل وأكدرها، يغشاه الظلم من كل مكان، فيُخذل أو يُعان، فإن أصاب فبالحري أن ينجو، وإن أخطأ، أخطأ طريق الجنة، ومن يكون في الدنيا ذليلاً، خير من أن يكون شريفًا ضائعًا، ومن يختار الدنيا على الآخرة فاتته الدنيا ولا يصير إلى ملك الآخرة، فعجبت الملائكة من حسن منطقه، فنام نومة فغط بالحكمة غطًا، فانتبه فتكلم بها.

ثم نودي داود عليه السلام بعدُ بالخلافة، فقبلها ولم يشترط شرط لقمان فأهوى في الخطيئة، فصفح عنه وتجاوز.

وكان لقمان يؤازره بعلمه وحكمته، فقال داود عليه السلام: «طوبى لك يا لقمان، أوتيت الحكمة فصُرفت عنك البلية، وأوتي داود الخلافة فابتلي بالذنب والفتنة». اهـ.

ثانيًا: التخريج:

الخبر الذي جاءت به هذه القصة أخرجه الحكيم الترمذي في «نوادر الأصول» (ح٤٣٧) قال: حدثنا عبد الكريم عن نوفل بن سليمان عن مالك بن أنس رفعه إلى مسلم الخولاني به.

وأورد هذه القصة الإمام السيوطي في «الدر المنثور في التفسير بالمأثور» (١٦١/٥) قال: «أخرج الحكيم الترمذي في نوادر الأصول عن أبي مسلم الخولاني رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن لقمان كان عبدًا كثير التفكر». الحديث.

فائدة هامة:

قد يتوهم البعض أن الترمذي الحكيم هو الترمذي

صاحب السند فيعزو الحديث إلى الترمذي. والذي عليه أصحاب الصنعة أن العزو للترمذي مطلقًا هو عزو إلى الترمذي صاحب السنن، وقد وقع في هذا الوهم أحد الفقهاء المشهورين، رحمه الله، وعفا الله عنا وعنه، وسنبين ذلك – إن شاء الله – عند ذكر القصة التي وقع في تخريجها هذا الوهم في الأعداد القادمة تحت هذه السلسلة، ومن لا دراية له بهذه الصنعة يحسب أن هذا الأمر هيّن، ولكن عند التخريج والتفريق يجد أن هذا الأمر عظيم يُخفي علة القصة الواهية الباطلة، فيجب على طالب هذا العلم أن يعرف مناهج المحدثين فيستبين له التخريج:

١- فالعزو للترمذي: هو عزو لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سَوْرة الترمذي صاحب «السنن»، مات سنة ٢٧٩هـ كما في «التقريب» (٢/١٩٨).

٢- أما العزو للترمذي الحكيم: هو عزو لأبي عبد الله محمد بن علي بن الحسن بن بشير الترمذي المعروف بالحكيم صاحب «نوادر الأصول» كما في «اللسان» (٣٤٨/٥، ١٠٣٣/٧٨١٨).

ثالثًا: التحقيق:

هذه القصة واهية منكرة، وهذا سند واهٍ جدًا، وعلته نوفل بن سليمان.

١- أورده الدارقطني في «الضعفاء والمتروكين» (٥٥٣) وقال: «نوفل بن سليمان الهُنَائي».

قلت: وذكر اسم الراوي من غير صفة من مراتب الجرح، فيظن من لا دراية له بمناهج المحدثين في الجرح والتعديل أن الإمام الدارقطني سكت عنه، ولكن مَن الحديث صناعته يعلم أن من أثبت اسمه في كتاب «الضعفاء والمتروكين» للدارقطني فهو ضعيف شديد الضعف كما هو مبين في مناهج المحدثين الذين جاوروا الإمام الدارقطني؛ حيث قال الإمام أبو بكر أحمد بن محمد بن غالب الخوارزمي البرقاني: «طالت محاورتي مع أبي منصور إبراهيم بن الحسين بن حَمَكان لأبي الحسن علي بن عمر الدارقطني عفا الله عني وعنهما في المتروكين من أصحاب الحديث، فتقرر بيننا وبينه على ترك من أثبته على حروف المعجم في هذه الورقات». كذا في بيان المنهج في مقدمة الكتاب.

قلت: وبهذا يتبين أن نوفل بن سليمان الهنائي متروك باتفاق الأئمة: البرقاني، وابن حمكان، والدارقطني.

٢- وأحاديثه منكرة غير محفوظة.

فقد أورده الإمام ابن عدي في «الكامل في ضعفاء الرجال» (٦١/٧) (١٩٨٩/٣٦) وقال: «يحدث محمد بن نوفل هذا بأحاديث غير محفوظة».

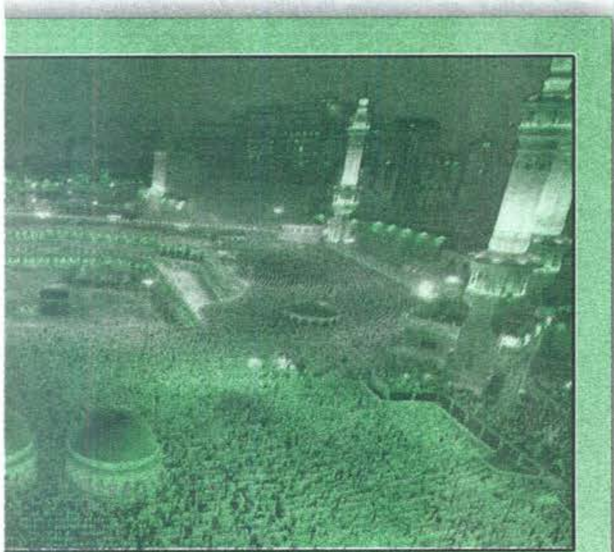
٣- قال ابن أبي حاتم في «العلل» (١١٨/٥) ح(١٥٨٢): «سألت أبي عن حديث محمد بن أمية الساوي عن نوفل بن سليمان الهُنائي عن عُبيد الله بن عمر العمري عن نافع عن ابن عمر قال: وقف النبي صلى الله عليه وسلم بعُسْفَان فقال: «لقد مر بهذه القرية سبعون نبيًا ثيابهم العباء ونعالهم الخوص»؟ فسمعت أبي يقول: «هذا حديث موضوع بهذا الإسناد، ونوفل بن سليمان هذا ضعيف الحديث».

قلت: الحديث الموضوع: هو الكذب المختلَق المصنوع وهو شر الضعيف وأقبحه. كذا في «تدريب الراوي» (٢٧٤/١).

٤- قال ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (٤٨٨/١/٤) (٢٢٣٧): سألت أبي عن نوفل بن سليمان الهنائي فقال: «ضعيف الحديث».

٥- نقل الإمام الذهبي في «الميزان» (٢٨١/٤) (٩١٤٧) أقوال هؤلاء الأئمة وأقرها.

٦- ونقل الحافظ ابن حجر في «لسان الميزان» (٢١٠/٦) (٨٨٦/١٢٣) ما نقله الإمام الذهبي في «الميزان» عن أئمة الجرح والتعديل في نوفل، وزاد عليه حيث قال: «وذكره الخليلي في «الإرشاد»، وقال: روي عن عبيد الله



بن عمر أحاديث لا يتابع عليها، وأحاديثه تدل على ضعفه». اهـ.

قلت: وبهذا يتبين أن نوفل بن سليمان الهُنَائي متروك أحاديثه منكرة غير محفوظة لا يُتابع عليها.

فالقصة واهية خبرها مردود بالطعن في الراوي وأيضًا بالسقط في الإسناد، حيث قال الحافظ ابن حجر في «التقريب» (٤٧٣/٢): «أبو مسلم الخولاني الزاهد الشامي عابد من الثانية، رحل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فلم يدركه». اهـ.

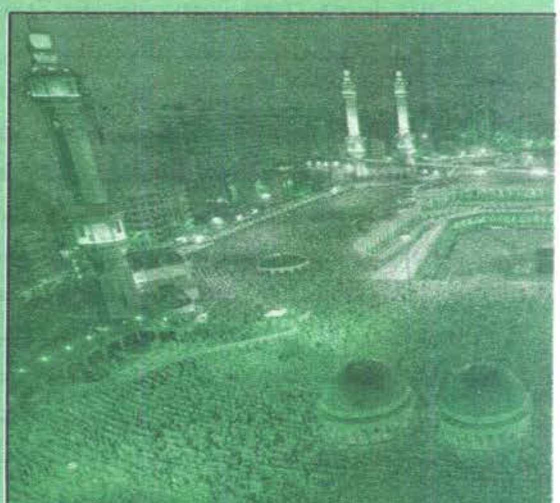
رابعًا: هفوة الحكيم الترمذي:

١- قال الإمام الذهبي في «سير أعلام النبلاء» (٥٨١/٨) (٢٥٩٥): «الحكيم الإمام، الحافظ، العارف، الزاهد أبو عبد الله محمد بن علي بن الحسن بن بشر الحكيم الترمذي، كان ذا رحلة ومعرفة، وله مصنفات وفضائل».

٢- وقال: «له حكم ومواعظ وجلالة لولا هفوات بدت منه».

قلت: وهذا من أدب الإمام الذهبي عند كلامه على الأئمة الحفاظ حيث قال: لولا هفوة بدت منه. وهذه العبارة تدل على توقٍّ زائد وتحرٍّ بليغ من الإمام الذهبي عند كلامه على الأئمة.

وقد يسأل سائل: ما هذه الهفوة التي بدت من الحكيم الترمذي؟ وكنت لا أريد بيان هذه الهفوة لولا



أمور مهمة تقتضي بيانها:

أ- الأمانة العلمية.

ب- ذكرها من هو أفضل مني من الأئمة الحفاظ الإمام الذهبي والحافظ ابن حجر، ولولا ذلك ما ذكرتها.

جـ- كان لهذه الهفوة التأثير في منهج الحكيم الترمذي فأخرج الكثير من الأحاديث التي تؤيد هذه الهفوة، بل صنّف فيها التصانيف، فكان لا بد من بيانها لبيان منهج الحكيم الترمذي عند ذكر مناهج المحدثين.

د- إطلاق الإمام الذهبي كلمة «هفوة» على أمر عظيم رُمِيَ به إمام حافظ يدل على تحرٍّ بليغ في رمي شخص بكفر فضلاً عن إمام حافظ، وهذا يدل على توق زائد من الإمام الذهبي في أمر يقتضي توافر شروط وانتفاء موانع.

خامسًا: «بيان الهفوة»:

نقل الإمام الذهبي في «سير أعلام النبلاء» (٥٨٢/٨) (٢٥٩٥): عن أبي عبد الرحمن السلمي أنه قال: «أخرجوا الحكيم من ترمذ وشهدوا عليه بالكفر، وذلك بسبب تصنيفه كتاب «ختم الولاية»، وكتاب «علل الشريعة»، وقالوا: إنه يقول: «إن للأولياء خاتمًا كالأنبياء لهم خاتم، وانه يُفَضِّل الولاية على النبوة، واحتج بحديث: «يغبطهم النبيون والشهداء»، فقدم بلخ، فَقَبِلُوه لموافقته لهم في المذاهب».

ثم نقل الذهبي عن السلميّ الردَّ على أهل ترمذ الذين أخرجوا الحكيم الترمذي، وأنه كان معذور بالتأويل، فقال السلمي: «هُجر الحكيم الترمذي لتصنيفه كتاب «ختم الولاية» و«علل الشريعة»، وليس فيه ما يوجب ذلك ولكن لبعد فهمهم عنه».

قلت: والإمام الذهبي عندما ينقل عن السلمي دفاعه عن كتابي الحكيم الترمذي «ختم الولاية»، و«علل الشريعة» ليس معنى ذلك أنه يقر دفاع السلمي يظهر ذلك من قول الإمام الذهبي أنه كما تُكلم في الحكيم الترمذي لتصنيفه كتاب «ختم الولاية» و«علل الشريعة»، وهذا نص كلام الإمام الذهبي الذي ختم به ترجمة الحكيم الترمذي في «سير أعلام النبلاء» قال: «كذا تُكلم في السلمي من أجل تأليفه كتاب «حقائق التفسير» فيا ليته لم يؤلفه، فنعوذ بالله من الإشارات الحلاجية، والشطحات البسطامية، وتصوف الاتحادية، فواحزناه على غربة الإسلام والسنة، قال الله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا

صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ (الأنعام:١٥٣).

سادسًا: قول الحافظ ابن حجر في الحكيم الترمذي:

قال الحافظ ابن حجر في «لسان الميزان» (٣٤٨/٥) (٧٨١٨/١٠٣٣): «محمد بن علي بن الحسن بن بشر الترمذي المعروف بالحكيم أبو عبد الله، قال ابن النجار في ذيل تاريخ بغداد: كان إمامًا من أئمة المسلمين، له المصنفات الكبار في أصول الدين ومعاني الحديث، وقد لقي الأئمة الكبار وأخذ عنهم وفي شيوخه كثرة، وله كتاب «نوادر الأصول» المشهور».

ثم نقل عن السلمي: «قيل إنه هُجر بترمذ في آخر عمره بسبب تصنيفه كتاب «ختم الولاية» و«علل الشريعة»، قال: فحمل إلى بلخ فأكرموه لموافقته لهم في المذهب، يعني الرأي.. ثم قال: «ومما أنكر عليه أنه كان يفضل الولاية على النبوة، ويحتج بحديث «يغبط به النبيون»، قال: لو لم يكونوا أفضل لما غبطوهم.

قلت: والحديث ثابت أخرجه الإمام أبو عيسى الترمذي في «السنن» (ح٢٣٩٠) كتاب الزهد باب (٥٣) من حديث معاذ بن جبل قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: قال الله عز وجل: «المتحابون في جلالي لهم منابر من نور يغبطهم النبيون والشهداء». قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح.

واحتجاج الحكيم الترمذي أبي عبد الله بهذا الحديث على تفضيل الولاية على النبوة، وقوله: لو لم يكونوا أفضل لما غبطوهم: احتجاجٌ مردودٌ وفهمٌ بعيد من اعتقاد أهل السنة والجماعة الذي بيَّنه الحافظ الكبير محدث الديار المصرية في «العقيدة الطحاوية» (٩٨) قال: «ولا نفضّل أحدًا من الأولياء على أحد من الأنبياء – عليهم السلام – ونقول: نبي واحد أفضلُ من جميع الأولياء». اهـ.

والإمام الطحاوي ولد سنة تسع وثلاثين ومائتين وتوفي سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة رحمه الله رحمة واسعة، قال الحافظ ابن كثير عنه: «صاحب المصنفات المفيدة والفوائد العزيزة، وهو أحد الثقات الأثبات والحفاظ الجهابذة». اهـ.

سابعًا: التأثير على منهج الحكيم الترمذي:

لقد نقل الحافظ ابن حجر في «اللسان» عن القاضي كمال الدين بن العديم تأثير رأي الحكيم الترمذي في الولاية على منهجه في الحديث، فقال الحافظ ابن حجر «ذكره القاضي كمال الدين بن العديم، صاحب تاريخ حلب في جزء له، قال فيه: هذا الحكيم الترمذي قالوا: إنه أدخل في علم الشريعة ما فارق به الجماعة، وملأ كتبه الفظيعة بالأحاديث الموضوعة، وحشاها بالأخبار التي ليست بمروية ولا مسموعة، وعلل فيها جميع الأمور الشريعة التي لا يعقل معناها بعلل ما أضعفها وأوهاها». اهـ.

قلت: لذلك نجد في هذه القصة الواهية الباطلة يحاول أن يأتي بهذا الخبر غير المحفوظ ليوافق رأيه في تفضيل الولاية على النبوة، والذي نسب فيه إلى النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «فأهوى داود في الخطيئة، فصفح عنه وتجاوز، وكان لقمان يؤازره بعلمه وحكمته، فقال داود عليه السلام: «طوبى لك يا لقمان، أُوتيت الحكمة فصرفت عنك البلية، وأوتي داود الخلافة فابتلي بالذنب والفتنة». اهـ.

قلت: ولقد بينا من التخريج والتحقيق أن القصة واهية.

والمتن موضوع وعلامات الوضع ظاهرة عليه، فختام القصة يدل على أن المتن مختلق مصنوع لأمرين:

الأول: نسبة القول لداود عليه السلام: «طوبى لك يا لقمان أوتيت الحكمة فصُرفت عنك البلية وأُوتي داود الخلافة فابتلي بالذنب والفتنة».

هذا خبر منكر لا يصح، فظاهره أن الله تعالى أعطى داود عليه السلام النبوة وحرَمه الحكمة.

وهذا مخالف لنص القرآن الكريم قال الله تعالى: ﴿وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ﴾ (البقرة:٢٥١).

الآخر: ما نسب إلى داود أنه قال: «وأوتي داود الخلافة فابتلي بالذنب والفتنة». هذا قول باطل؛ حيث جعلوا ذنب داود عليه السلام الوقوع في فتنة امرأة أوريا، وعند داود عليه السلام تسع وتسعون امرأة، ومن إفكهم جعلوها تفسيرًا لقول الله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ﴾ (ص:٢٣)، ولقد قمت بالرد على هذه الفرية في أكثر من مائة وخمسين سطرًا في سلسلة «تحذير الداعية من القصص الواهية»، وحفظ الله نبيه داود في مقام العبودية، قال تعالى: ﴿وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ (ص:١٧).

والحمد لله رب العالمين.

النصيحة أحكام وآداب

الحلقة الثالثة

إعداد/ أيمن دياب

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، وآله وصحبه أجمعين، وبعد:

آداب النصيحة

لا بد أن يتحلى الناصح بآداب النصيحة حتى تقع نصيحته من المنصوح موقع القبول، ومن هذه الآداب:

١- أن يقصد بنصيحته وجه الله عز وجل:

لا بد للناصح من أن يقصد بنصحه وجه الله عز وجل؛ إذ بهذا القصد يستحق الثواب والأجر من الله تعالى، ويستحق القبول لنصحه من العباد، فعَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ النَّبِيّ صلى الله عليه وسلم: «إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِه، فَهِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ صلى الله عليه وسلم، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا أَوِ امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا، فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ» (متفق عليه)، ويتخلف هذا القصد ينال السخط والعقاب من ربه عز وجل، ويوغر صدور الناس عليه، ومنهم المنصوح، ويبعد الناس عن نفسه.

٢- أن لا يقصد التشهير:

لا بد أن يحرص الناصح على عدم التشهير في نصحه بالمنصوح له، وهذه آفة يقع فيها كثير من الناس، تراه يُخرج النصيحة في ثوب خشن، ولكن إذا دققت فيها وجدت أنه يقصد التشهير بالمنصوح، وهذا ليس من أدب النصيحة في شيء، وليس من أخلاق المسلمين، وربما أفضى ذلك إلى حصول سوء، أو زيادة شر، ولم تؤت النصيحة ثمرتها المرجوة. ولهذا كان من هدي النبي صلى الله عليه وسلم أنه إذا أراد أن ينهى عن شيء فإنه لا يذكر الأشخاص، وإنما يقول: «مَا بَالُ أَقْوَام» (متفق عليه). وهذا فيه دليل على أن المهم من الأمور والقضايا: القضية نفسها دون ذكر الأشخاص في بعض الأحيان.

وترك ذكر اسم الشخص المنصوح فيه فائدتان عظيمتان:

الفائدة الأولى: الستر على هذا الشخص.

الفائدة الثانية: أن هذا الشخص ربما تتغير حاله؛ فلا يستحق الحكم الذي يحكم عليه في الوقت الحاضر؛ لأن القلوب بيد الله. (شرح رياض الصالحين للعثيمين (٢/٢١٥)).

٣- أن يكون النصح في السر:

ذلك لأن المنصوح امرؤ يحتاج إلى جبر نقص وتكميله، ولا يسلم المرء بذلك من حظ نفسه إلا لحظة خلوة وصفاء، وهذه اللحظة تكون عند المسارّة في السر، وعندها تؤتي النصيحة ثمرتها، ولا يكون الناصح عونًا للشيطان على أخيه، فإن الناصح في ملأ يعين الشيطان على صاحبه، ويوقظ في نفسه مداخل الشيطان، ويغلق أبواب الخير، وتضعف قابلية الانتفاع بالنصح عنده.

ولهذا المعنى فقد حرص سلفنا الصالح رضوان الله عليهم على النصح في السر دون العلن، وفي هذا المقام يقول الحافظ ابن رجب-رحمه الله-: «كان السَّلفُ إذا أرادوا نصيحةَ أحد، وعظوه سراً»، حتّى قال بعضهم: «مَنْ وعظ أخاه فيما بينه وبينَه فهي نصيحة، ومن وعظه على رءوس الناس فإنَّما وبَّخه»، وقال الفضيل-رحمه الله-: «المؤمن يَسْتُرُ وَيَنْصَحُ، والفاجرُ يهتك ويُعيِّرُ»، ويعقب الحافظ ابن رجب-رحمه الله- على كلمة الفضيل فيقول: «فهذا الذي ذكره الفضيل من علامات النصح، وهو أن النصح

يقترن به الستر، والتعيير يقترن به الإعلان» (الفرق بين النصيحة والتعيير(ص٣٦)).

وقال الإمام الشافعي-رحمه الله-: «من وعظ أخاه سراً فقد نصحه وزانه، ومن وعظه علانية فقد فضحه وخانه» (انظر: الحلية (٩/١٤٠))، ويقول الإمام أبو محمد ابن حزم-رحمه الله-: «وإذا نصحت فانصح سراً لا جهراً، وبتعريض لا تصريح، إلا أن لا يفهم المنصوح تعريضك، فلا بد من التصريح» (الأخلاق والسير: (ص٤٤))، وإذا نظرت فيما نقلناه هنا، ثم قارنت ذلك بما يقع فيه أولئك الذين يرفعون أصواتهم بنصح الناس على الملأ، ثم سألتهم: ما الثمرة التي تحققت من النصح في الجهر والعلن؟ إنها إصرار المنصوح على الخطأ والتقصير، وإيغار الصدور على الناصح، وسوء الظن بالناس، وقطع الروابط والعلاقات بين الناصح والمنصوح، وكل هذا يقع تحت لائحة عريضة هي: إعانة الشيطان على أخيك.

٤- أن يكون النصح بلطف وأدب ورفق:

لا بد للناصح من أن يكون لطيفاً رقيقاً أديباً في نصحه لغيره، وهذا يضمن استجابة المنصوح للنصيحة؛ ذلك لأن قبول النصح كفتح الباب، والباب لا يُفتح إلا بمفتاح مناسب، والمنصوح امرؤ له قلب قد أُغلق عند مسألة قصَّر فيها إن كانت أمراً مطلوباً للشارع، أو وقع فيها إن كانت أمراً ممنوعاً من الشارع. وحتى يترك المنصوح الأمر أو يفعله لا بد له من انفتاح قلبه له، ولا بد لهذا القلب من مفتاح، ولن تجد له مفتاحاً أحسن ولا أقرب من لطف في النصح، وأدب في الوعظ، ورفق في الحديث، كيف لا وقد قال تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم: (وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ) (آل عمران: ١٥٩)، وقال حين أرسل موسى وهارون -عليهما السلام- إلى فرعون: ﴿فَقُولاَ لَهُ قَوْلاً لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾ (طه: ٤٤)، وقال صلى الله عليه وسلم: «إنَّ الله رَفيقٌ يُحبُّ الرِّفْقَ، وَيُعْطي عَلَى الرِّفق مَا لا يُعْطي عَلى العُنْف» (مسلم ٢٥٩٣)، وكان يقول إذا بعث بعثًا: «يَسِّرُوا وَلاَ تُعَسِّرُوا، وَبَشِّرُوا وَلاَ تُنَفِّرُوا» (متفق عليه)، وكان يقول صلى الله عليه وسلم: «إنَّ الرِّفْقَ لاَ يَكُونُ فِي شَيء إلاَّ زَانَهُ، وَلاَ يُنْزَعُ مِنْ شَيء إلاَّ شَانَهُ» (مسلم، ٢٥٩٤)، وقال صلى الله عليه وسلم: «مَنْ يُحْرَم الرِّفْقَ يُحْرَم الْخَيْرَ» (مسلم ٢٥٩٢).

وقال عبد العزيز بن أبي داود-رحمه الله-: «كان مَنْ كان قبلكم إذا رأى الرجلُ من أخيه شيئاً يأمره في رفق، فيؤجر في أمره ونهيه، وإنَّ أحد هؤلاء يخرق بصاحبه فيستغضب أخاه ويهتك ستره» (جامع العلوم: (ص:٧٧)).

فانظر عبد الله حال من نصح بشدة وغلظة وفظاظة، كم من باب للخير قد أغلق؟ وكم من منصوح قد صد عن الله! وكم من صديق قد أوغر صدره على نفسه، وكم من أذى قد أوقع على أخيه في الله! وكم من الأجر قد فاته؟ وكم قد أعان الشيطان على إخوانه؟ وانظر في الجهة المقابلة إلى حسن الرفق في النصيحة، فكم من قلب مغلق قد فتح! وكم من حق ضاع قد حُفظ! وكم من نقص قد استكمل! وكم من أخوة قد رُوعيت! وكم من تأخر عن الركب قد أدرك؟ وكم من الأجر قد تحصل! وكم من إرغام للشيطان قد كان! قارن عبد الله بين الحالتين لترى الفرق، والله يرعاك. (انظر: فقه النصيحة).

٥- عدم الإلزام:

من واجب الناصح أن ينصح غيره، ولكن ليس من حقه أن يُلزم غيره بما ينصحه به؛ لأن هذا ليس من حقه، بل هو حق للحاكم في رعيته، والناصح دالٌّ على الخير، وليس آمرًا بفعله. أما الحاكم فهو آمرٌ بفعل الخير، ناهٍ عن فعل الشر، وفي هذا المعنى يقول الإمام ابن حزم-رحمه الله-: «ولا تنصح على شرط القبول منك، فإن تعديت هذه الوجوه، فأنت ظالم لا ناصح، وطالب طاعة وملك، لا مؤدي حق أمانة وأخوة، وليس هذا حكم العقل، ولا حكم الصداقة، لكن حكم الأمير مع رعيته، والسيد مع عبيده، لا تكلف صديقك إلا مثل ما تبذل له من نفسك، فإن طلبت أكثر فأنت ظالم» (الأخلاق والسير: (ص٤٤))، ويقول أيضاً -رحمه الله-: «فإن خشنت كلامك في النصيحة فذلك إغراء وتنفير، وقد قال الله تعالى: ﴿فَقُولاَ لَهُ قَوْلاً لَّيِّنًا﴾ (طه: ٤٤). وقال صلى الله عليه وسلم: «وَلاَ تُنَفِّرُوا» (متفق عليه)،

وإن نصحت بشرط القبول منك، فأنت ظالم، أو لعلك مخطئ في وجه نصحك، فتكون مطالباً بقبول خطئك، وبترك الصواب» (الأخلاق والسير: (ص٤٨)).

ومما نقلنا لك تعرف أن للناصح أن يقول الكلمة، ويصدر التوجيه فقط، وليس له أن يُلزم غيره بالأخذ بما قال، فإن ذلك واجب القاضي والحاكم، والقاضي والحاكم قلة في المجتمع لطلبهما الإلزام، والناصح لفرد مكلف في المجتمع، فإذا كان لكل ناصح أن يلزم غيره بقوله، أصبح كل المجتمع حكاماً وقضاة، وعندها فمن يكون المحكوم والرعية؟

٦- اختيار الوقت المناسب للنصيحة:

لا بد للناصح من اختيار الوقت المناسب الذي يسدي فيه النصيحة للمنصوح؛ لأن المنصوح لا يكون في كل وقت مستعداً لقبول النصيحة، فقد يكون مكدراً في نفسه بحزن أو غضب أو فوات مطلوب، أو غير ذلك مما يمنعه من الاستجابة لنصح الناصح. لذا فاختيار الوقت المناسب والظرف المناسب من أكبر الأسباب لقبول النصيحة وإزالة المنكر، قَالَ ابْنُ مَسْعُود رضي الله عنه: «أَرِيحُوا الْقُلُوبَ فَإِنَّ الْقَلْبَ إِذَا كَرِهَ عَمِيَ»، وَقَالَ أَيْضًا: «إِنَّ لِلْقُلُوبِ شَهْوَةً وَإِقْبَالاً، وَفَتْرَةً وَإِدْبَارًا، فَخُذُوهَا عِنْدَ شَهْوَتِهَا وَإِقْبَالِهَا، وَذَرُوهَا عِنْدَ فَتْرَتِهَا وَإِدْبَارِهَا» (انظر: الآداب الشرعية (١٠٩/٢))، فهنيئاً لذلك الداعية الذي يعرف متى تدبر القلوب، ومتى تقبل، فيحسن الإنكار، ويجيد مخاطبة القلوب. (فقه النصيحة بتصرف).

العوامل المؤثرة في قبول النصيحة أو ردها

هناك عوامل مؤثرة في قبول النصيحة، وقد تؤخرها أحياناً، وقد تصدّ المنصوح عن الأخذ بالنصح أحياناً.

فمما يؤدي إلى قبولها:

١- التزام آداب النصيحة:

فمن راعى في نصحه آداب النصيحة، التي سبق بيانها، رجونا قبول نصحه، وزيادة الودّ له في القلوب، ودل ذلك على الخير الذي فيه والحب الذي يُكنّه لإخوانه المسلمين. وكم أثمر التزام آداب النصيحة أخوةً صادقة، ووداً متبادلاً، وقرباً دائماً، ودلالة من الخير لا تنكر!!

٢- صفاء النفس:

فإن المرء إذا رزقه الله صفاء نفس أورثه ذلك الإنصاف للناس من نفسه، وأحوج الناس إلى الإنصاف المنصوح؛ لأنه إذا لم ينصف ناصحه لا يقبل نصحه، ولا يُسمع لإرشاده، ولا يعمل على ترك ما طلبه منه تركه، والحق أن صالح النفس محكم لقياد نفسه، منتصر على شهواتها وأهوائها، فإذا جاءه من يعينه، على هذا استبشر به، أو عمل بمراده. ولكن وجود هذا الوصف في الناس قليل، فأين هم الصافون في نفوسهم الذين يسمعون لقول الناصحين؟!

ومما يؤدي إلى رد النصيحة:

١- عدم التزام الناصح بآداب النصيحة:

فمن لم يلتزم بآداب النصيحة، ففي الغالب لا تعطي نصيحته ثمرتها، ولا يتحقق لها القبول عند الناس. ولذا فكم رُدت نصيحة؛ لكون صاحبها لم يراع فيها ما يليق بالنصح وأهله. وكم من ناصح ألقى نصحه لغيره بغير أدب ولا ملاطفة، فانقلب أمره من صورة الناصح إلى صورة الشامت المبغض المعادي، الذي لا يرغب الناس في سماع كلامه، ولا مجالسته، ولا الوقوف عند نصحه.

٢- الكِبْر:

فمن وجد فيه الكبر منعه من قبول النصح والأخذ به، ومن خلا قلبه من الكبر رُجي منه قبول النصيحة؛ ذلك لأن الكِبْر هو «بَطَر الْحَقّ وَغَمْط النَّاس» (مسلم ٩١)، والنصح من الحق، والناصح من الناس، والمتكبر قد بطر الحق وغمط الخلق، لذا فقد صده ذلك عن قبول النصح، وعلى العكس من ذلك فلو كان متواضعاً لقبل نصح غيره بصدر رحب، ولمّا استهان بنصح من نصحه، كائناً هذا الناصح من كان؛ لأنه يرى فيه تأدية الواجب، والعمل بحقوق المؤمنين بعضهم على بعض.

٣- الإعجاب بالنفس: فمن كان معجباً بنفسه، لا يُرجى منه قبول النصح؛ لأنه لا يرى رأياً ولا فضلاً لغيره عليه، فما دام قد انتفخ وأعجب بنفسه، فأنى له قبول نصح غيره؟! قال الإمام أبو حاتم محمد بن حبان -رحمه الله-: «وأكثر ما يوجد ترك قبول النصيحة من المعجب برأيه» (روضة العقلاء: (ص١٩٦)).

ثمار النصيحة

النصيحة بذرة طيبة يبذرها الناصح، ولا بد للبذرة السليمة التي رُوعي فيها ما يصلح الزرع من ثمرة، وكذا النصيحة، فإذا روعيت آدابها وشروطها رجونا أن تتحصل منها الثمار الطيبة، والآثار الخيرة، ويمكن إجمال ثمار النصيحة في الأمور التالية:

١- تنقية المنصوح من الشوائب:

فإن الناصح عندما يرى من منصوحه غفلة عن خير، أو وقوعاً في شر، فيعمد إلى تقوية وتنقية نفسه من الشوائب، سيراً بها إلى التقليل من القصور في حق الله أولاً، ثم في حق عباده ثانياً، وهذا مكسب كبير للإنسان لو تمعن فيه، وهذا تكميل لنقص وقع فيه المرء من حيث لا يدري أو يدري، فإذا بمتطوع يذبّ عنه النقص، ويخلصه من الذنب، وأي شائبة أشد من التقصير في حق ذي الحق؟ وأي نقاء أكرم وأبرك من حرص أخيك عليك؟

٢- دوام المحبة والألفة:

فإن المنصوح إذا نصحه الناصح بما يسدد خطأه، ويكمل نقصه، كان ذلك طريقاً لدوام الألفة بين الاثنين؛ ذلك لأن الناصح مُحبّ لمنصوحه، ويحب لأخيه ما يحب لنفسه، ولا بد أن يقابله صاحبه بمثل ذلك إن كان عاقلاً، وعليه فكم من نصيحة صادقة أدامت بين الأحبة وداً، وسدت في شخصية أحدهم نقصاً، وأبعدت عن النفس غوائل الشيطان، وألحقت من تأخر وتلكأ بالركب!! قال الإمام ابن حزم - رحمه الله-: «وحدّ النصيحة أن يسوء المرء ما ضر الآخر، ساء ذلك الآخر أم لم يسؤه، وأن يسره ما نفعه، سر الآخر أو ساءه، فهذا شرط في النصيحة زائد على شروط الصداقة» (الأخلاق والسير: (٤١)).

٣- أداء حق الأخوة:

إن الناصح حين ينصح غيره إنما يؤدي ما لأخيه من حق عليه، وهذا الحق يتعلق بحب المرء لغيره مثل ما يحبه لنفسه، وهذا الأمر يؤدى بطرق منها النصيحة.

قال الإمام أبو حاتم محمد بن حبان-رحمه الله-: «النصيحة إذا كانت على نعت ما وصفنا تقيم الألفة، وتؤدي حق الأخوة» (روضة العقلاء: (ص١٩٧))، وفي هذا يقول الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز-رحمه الله-: «من وصل أخاه بنصيحة له في دينه ونظر له في صلاح دنياه: فقد أحسن صلته وأدى واجب حقه...» (تاريخ الطبري: (٥٧٢/٦)).

ولعل سائلاً يسأل هناك كيف تكون النصيحة من حقوق الأخوة مع أن فيها ذكر العيوب، وهذا يوحش القلب؟

اعلم أن الإيحاش: إنما يحصل بذكر عيب يعلمه أخوك من نفسه، فأما تنبيهه على ما لا يعلمه: فهو عين الشفقة، وهو استمالة القلوب، أعني قلوب العقلاء، وأما الحمقى فلا يلتفت إليهم، فإن من ينبهك على فعل مذموم تعاطيته أو صفة مذمومة اتصفت بها لتزكي نفسك عنها، كان كمن ينبهك على حية أو عقرب تحت ذيلك وقد همت بإهلاكك، فإن كنت تكره ذلك فما أشد حمقك! والصفات الذميمة عقارب وحيات وهي في الآخرة مهلكات. (الإحياء: (١٨٢/٢)).

٤- حصول الأجر:

الناصح إذا أسدى لغيره نصحاً استحق عليه الأجر العظيم من الله سبحانه وتعالى، على حرصه على إخوانه، وحبه لهم. (فقه النصيحة بتصرف). قَالَ صلى الله عليه وسلم: «مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يَنْفَعَ أَخَاهُ فَلْيَفْعَلْ» (مسلم ٢١٩٩). قال الإمام المناوي-رحمه الله-: في قوله صلى الله عليه وسلم: «يَنْفَعَ أَخَاهُ» (أي في الدين). (فيض القدير (٧١/٦))، وقد سمّى النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم النصيحة ديناً، فَقَالَ صلى الله عليه وسلم: «الدِّينُ النَّصِيحَةُ» (مسلم ٥٥)، والقيام بأوامر الدين: يترتب عليها أجر من الشارع الحكيم.

هذا ما أردت أن يقف عليه القارئ؛ عل في ذلك ما يدفع كاتبه وقارئه وسامعه إلى تمام النصح لمن طلب الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم منا نصحهم. هذا والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل، وَآخِرُ دَعْوَانا أَنِ الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

الإعجاز العلمي في القرآن الكريم

إعداد/ صلاح نجيب الدق

الحمد لله الذي خلق كل شيء فقدَّره تقديرًا، والصلاة والسلام على نبينا محمد، الذي أرسله ربه هاديًا ومبشرًا ونذيرًا وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرًا. أما بعد: فإن القرآن هو كلام الله، الذي نزل به جبريل على نبينا صلى الله عليه وسلم، وقد تضمن القرآن الكثير من المعجزات العلمية، التي اكتشفها العلماء في العصر الحديث، فأحببت أن أذكر نفسي وإخواني الكرام ببعض هذه المعجزات، فأقول وبالله تعالى التوفيق:

المقصود بالإعجاز العلمي في القرآن

هو إخباره عن حقائق علمية لم تكن معروفة للبشرية يوم نزول القرآن على نبينا صلى الله عليه وسلم، ولم يكتشف العلم هذه الحقائق إلا في وقتنا الحاضر، وهذا الإعجاز العلمي يعتبر دليلاً أيضًا على أن محمدًا صلى الله عليه وسلم رسولٌ من عند الله تعالى، وأن ما نطق به من حقائق علمية (على أن محمدًا صلى الله عليه وسلم كان أميًا لا يقرأ ولا يكتب) دليل واضح على صدق نبوته.

إن القرآن الكريم قد تعرض في نحو من سبعمائة وخمسين آية إلى مسائل هي من صميم العلم، وذكر جانبًا من الحقائق العلمية، كقضايا عامة، ودخل في تفاصيل بعض الحقائق الأخرى، وتلك الآيات هي في مجموعها إحدى نواحي إعجاز القرآن التي ظهرت في هذا العصر.

إن الله قد خلق الإنسان وعلّمه، وأنزل القرآن الكريم على عبده ونبيه محمد صلى الله عليه وسلم، وأخبر سبحانه أنه سيكشف للناس عامة، وللعلماء خاصة حقيقة ما في هذا القرآن من آيات بينات. قال سبحانه: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ (فصلت: ٥٣). إن الآيات التي سيريها الله لعباده لا تقتصر على فترة زمنية واحدة، ولا على جيل واحد من الأجيال، بل إنها تشمل جميع الأزمان وجميع الأجيال، في دلالة واضحة على أن القرآن الكريم حق من عند الله تعالى. (مجلة الشريعة العدد٣٥ ص٢٦:٢٩).

أهمية الإعجاز العلمي في الوقت الحاضر

يحتاج كثير من الناس في وقتنا الحاضر إلى الإقناع العلمي عند الجدال على الإسلام في وقت تقدمت فيه العلوم تقدمًا أذهل الكثير من الناس، وزلزل عقائد ضعاف الإيمان، وظن هؤلاء أن العقل أصبح قادرًا على كل شيء، وكان جديرًا بهؤلاء أن يزداد يقينهم بالله تعالى عن طريق هذه الاكتشافات، فما العلم إلا وسيلة من الوسائل المهمة التي تعمق الإيمان بالله تعالى.

إن الإنسان المعاصر اليوم في أشد الحاجة إلى يقين ديني يعيد إليه وحدته الضائعة وسعادته المفقودة، وأمنه المسلوب.

وما دامت القناعة المبنية على الحقائق العلمية هي اليوم من أكثر القناعات فاعلية للتحقق من هذا اليقين. وما دام القرآن يمنحنا هذا القدر الكبير المعجز من هذه الحقائق، التي أخذت تظهر كل يوم. فلما لا نتحرك على ضوء الإعجاز العلمي الموجود في القرآن الكريم لإنقاذ هذا الإنسان المعاصر من أزمته بفقدان اليقين؟!

إن الإيمان اليوم لا يقوم على مجرد التسليم أو التخمين أو التقليد، وإنما يقوم أيضًا على الإقناع المبني على العلم، فالعلم هو اللغة التي يفهمها أبناء اليوم، وإذا كانت أوروبا قد تقدمت في مجال العلوم التجريبية تقدمًا هائلاً يصعب

علينا نحن المسلمين اللحاق بهم، فلا يفوتنا أن نقدم لهم شواهد علمية جاءت في القرآن قد كشف عن بعضها بعض علماء أوروبا أنفسهم، فذهلوا عندما علموا أن الإسلام قد تحدث عن هذه الحقائق العلمية قبل أربعة عشر قرنًا، وبقيت في القرآن شواهد أخرى مازال العلم عاجزًا عن اكتشاف أسرارها، وسيأتي اليوم الذي يكشف عنها العلم إن شاء الله تعالى. (مجلة الشريعة- العدد ٣٥. ص٤٢).

نماذج للإعجاز العلمي في القرآن الكريم

(١) وحدة الكون:

أظهرت النظريات العلمية الحديثة: أن الأرض كانت جزءًا من المجموعة الشمسية، ثم انفصلت عنها وتبردت وأصبحت صالحة لسكنى الإنسان، ويبرهنون على صحة النظرية بوجود البراكين والمواد الملتهبة في باطن الأرض، وقذف الأرض بين حين وحين بهذه الحمم من المواد البركانية الملتهبة. هذه النظرية الحديثة تتفق مع ما أشار إليه القرآن الكريم في قوله جل شأنه: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلاَ يُؤْمِنُونَ﴾ (الأنبياء: ٣٠). الرتق: الضم والالتحام. الفتق: الفصل بين الشيئين. (التبيان في علوم القرآن للصابوني ص١٢٧: ص١٢٨).

(٢) نشأة الكون:

يقول العالم الفلكي جينز: إن مادة الكون بدأت غازًا منتشرًا خلال الفضاء بانتظام، وإن المجموعات الفلكية خُلقت من تكاثف هذا الغاز. ويقول الدكتور جامبو: إن الكون في بدء نشأته كان مملوءًا بغاز موزع توزيعًا منتظمًا ومنه حدثت عمليات التكوين.

هذه النظرية نجد لها في القرآن الكريم ما يؤيدها، ولولا أن القرآن أخبر عن ذلك لاستبعدنا هذه النظرية، يقول الله تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ (فصلت: ١١)

فالقرآن صور مصدر خلق هذا الكون (بالدخان)، وهو الشيء الذي يفهمه العرب من الأشياء الملموسة، أيكون في مقدور أميّ، منذ أربعة عشر قرنًا، أن يدرك هذا في وقت كان الناس لا يعرفون شيئًا عن هذا الكون وخفاياه؟!

(التبيان في علوم القرآن للصابوني ص١٢٨: ص١٢٩).

(٣) شكل الأرض:

استدارة الأرض تنطق بإعجاز من تعبير: تكوير الليل على النهار، والمعروف أن الأرض ليست كرة تامة الاستدارة بل بيضاوية؛ ومن ناحية أخرى أثبت العلم الحديث أن النسبة بين قطري الأرض تتناقص باطراد؛ وهو ما يشار إليه في القرآن بنقص الأرض من أطرافها. قال تعالى: ﴿بَلْ مَتَّعْنَا هَؤُلاءِ وَآبَاءَهُمْ حَتَّى طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ أَفَلا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾ (الأنبياء: ٤٤). وقال سبحانه: ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لأَجَلٍ مُسَمًّى أَلا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ﴾. (الزمر: ٥) (كشاف الإعجاز العلمي لنبيل هارون ص٤٢).

(٤) الجبال تثبّت الأرض:

قال تعالى: ﴿وَأَلْقَى فِي الأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ﴾ (لقمان: ١٠)، هذه الآيات تبين لنا دور الجبال بالنسبة للأرض، فقد جعلها الله مثبتات لها حتى لا تضطرب، فهي كالأوتاد التي تمسك الخيمة من الاضطراب والسقوط. ولاحظ العلماء أن امتداد الجبال في باطن الأرض يزيد عن ارتفاعها فوق سطحها، مما يمكّن هذه الجبال من القيام بدورها في تثبيت الأرض، كما تقوم الأوتاد بتثبيت الخيمة. (مجلة الشريعة .العدد ٣٥ . ص٣٤).

(٥) نقص الأوكسجين في طبقات الجو العليا:

اكتشف العلم الحديث نقص الأوكسجين في طبقات الجو كلما صعدنا لأعلى، فعند ذلك يشعر الإنسان بضيق في الصدر وصعوبة في التنفس. قال تعالى: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ﴾ (الأنعام: ١٢٥) (التبيان. للصابوني ص ١٣٠).

(٦) تقسيم الذرة:

كان العلماء يعتقدون أن أصغر جزء في العناصر هو الذرة حتى القرن التاسع عشر، ثم اكتشفوا أن الذرة تحتوي على أجزاء مكونة لها أصغر منها ١. البروتون ٢. النيترون ٣. الإلكترون، وبواسطة هذه الأجزاء اخترعوا القنبلة الذرية والهيدروجينية.

قال تعالى: ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي السَّمَاءِ وَلا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلا أَكْبَرَ إِلا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ (يونس: ٦١) (التبيان للصابوني ص ١٢٩).

(٧) ظاهرة الاتزان:

كشفت العلوم أن ظاهرة الاتزان الدقيقة تحكم سلوك شتى النظم الطبيعية والكيميائية والبيولوجية،

كما أن الممالك الحيوانية سواء كانت برية وبحرية وطيورًا وحشرات، تحكم بقاءها وفناءها توازنات دقيقة تربط فيما بينها وبين الظواهر الجوية والجيولوجية والنباتية، وهذا الاتزان يوجد كذلك في تركيب جسم الإنسان بحيث يؤدي اختلال أي عنصر من عناصر تكوينه إلى اعتلال صحة الإنسان، وهذا الاتزان تلخصه بدقة تامة آيات الله البينات. قال تعالى: ﴿اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ﴾ (الرعد: ٨)، وقال سبحانه: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾ (الحجر: ٢١)، وقال جلَّ شأنه: ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ﴾ (المؤمنون:١٨) (كشاف الإعجاز العلمي لنبيل هارون ص١١).

(٨) الزوجية موجودة في كل شيء:

كان العلماء يعتقدون بأن الزوجية (الذكر والأنثى) لا توجد إلا في النوعين الإنسان والحيوان، فجاء العلم الحديث فأثبت أن الزوجية توجد في النبات وكذلك الجماد، وفي كل ذرة من ذرات الكون حتى الكهرباء ففيها الموجب والسالب وحتى الذرة فيها البروتون والنيترون قال تعالى: ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (يس: ٣٦) (التبيان للصابوني ص١٣٠، ١٣٠).

(٩) قاع البحار والمحيطات:

أثبتت البحوث الحديثة باستخدام تلسكوبات دقيقة أن أعماق البحار والمحيطات ليست ساكنة، بل تموج بأمواج وتيارات أظلم وأكثف مما بسطحه. وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾ (النور: ٤٠) (كشاف الإعجاز العلمي لنبيل هارون ص ١٣).

(١٠) الماء المالح لا يختلط بالماء العذب:

قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَحْجُورًا﴾ (الفرقان: ٥٣)، أثبت العلم الحديث استحالة اختلاط ماء النهر والبحر، وإلا كان أجاجًا، وذلك بفضل خاصية الانتشار الغشائي (الأسموزي) التي تدفع جزيئات الماء العذب إلى الانتشار داخل الماء المالح، وليس العكس، عبر السطح الفاصل بينهما (الحاجز أو البرزخ)، وفي هذا الصدد أيضًا تجدر الإشارة إلى معجزة بقاء ماء البحار والمحيطات دون تجمد؛ إذ يطفو الثلج المتجمد فوقها ليحفظ بقية الماء من التجمد، ويحفظ حياة الأسماك والأحياء البحرية، ولتستمر الملاحة فيه، ويرجع ذلك لخاصية وهبها الله الماء دون سائر المواد الأخرى، إن كثافته تقل (لا تزيد كغيره) بالتجمد (كثافة الثلج أقل من كثافة الماء السائل). (كشاف الإعجاز العلمي لنبيل هارون ص٦٣: ص٦٤).

(١١) التلقيح بواسطة الرياح:

أثبت العلم الحديث أن الهواء هو الذي ينقل الأعضاء المذكرة إلى المؤنثة في النخيل والتين وغيرها من الأشجار المثمرة، بواسطة الرياح قال تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ﴾ (الحجر:٢٢) (التبيان للصابوني ص ١٣٢).

(١٢) السحاب:

لقد كشف العلم الحديث أن السحب منها ما هو موجب التكهرب، ومنها ما هو سالب، وعندما تقوم الرياح بدفعها وجمعها سويًا، تتولد الشرارة المؤدية للبرق والرعد وسقوط الأمطار، وهو ما يتفق مع لفظ القرآن الكريم. قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنْ مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ﴾ (النور:٤٣) (كشاف الإعجاز العلمي لنبيل هارون ص٣٦).

(١٣) التقويم الشمسي والقمري:

الفرق بين التقويم القمري والشمسي ١١.١٠يومًا في السنة. ومن هنا فإن ثلاثمائة عام شمسية تعادل تمامًا ثلاثمائة وتسعه أعوام قمرية، ومن هنا تتجلى دقة إعجاز التعبير القرآني في قصة أهل الكهف. قال الله تعالى: ﴿وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا﴾ (الكهف:٢٥) (كشاف الإعجاز العلمي لنبيل هارون ص١٦).

(١٤) التربة الزراعية:

من الحقائق الجيولوجية الدقيقة أن التربة الطينية الساكنة إذا ما ابتلت بالماء تتحدد إلى أعلى وتتشقق، فيهتز أسفلها ويتحرك بجذور النبات وشعيراته، فانظر الدقة المعجزة في تطابق ذلك مع وصف قوله تعالى: ﴿وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾ (الحج:٥) (كشاف الإعجاز العلمي لنبيل هارون ص٣٤).

(١٥) الحيوان المنوي:

اكتشف الطب الحديث أن هذا السائل من منيّ

ا لإ نسا ن يحوي حيوانات صغيرة تسمى (الحيوانات المنوية)، وهي لا تُرى بالعين المجردة، إنما ترى بالمجهر، وكل حيوان منها له رأس ورقبة وذيل يشبه دودة العلق في شكلها ورسمها، وأن هذا الحيوان يختلط بالبويضة الأنثوية فيلقحها، فإذا ما تم اللقاح انطبق عنق الرحم فلم يدخل شيء بعده إلى الرحم، وأما بقية الحيوانات فتموت، وهذه الناحية العلمية وهي أن الحيوان المنوي يشبه العلق في الشكل والرسم قد أثبتها القرآن الكريم. قال جل شأنه: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ×خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾ (العلق: ١- ٢)، فهذه الآية معجزة بليغة من معجزات القرآن لم تظهر وقت نزولها ولا بعده بمئات السنين إلى أن اكتشف المجهر، وعرف كيف يتكون الإنسان بقدرة الله. (التبيان في علوم القرآن للصابوني ص١٣٢).

(١٦) مراحل نمو الجنين:

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ﴾ (الحج: ٥).

من أبلغ آيات الله المبهرات في كتابه الكريم، ذلك الوصف التشريحي الدقيق لمراحل تكون الجنين منذ كان نطفة، تطورت إلى علقة، ثم مضغة مخلقة وغير مخلقة، ثم نشأة العظام وكسوتها باللحم حتى بدايات الحركة والحياة قبل الخروج إلى العالم. (كشاف الإعجاز العلمي لنبيل هارون ص١٩: ص٢٠).

(١٧) مدة الحمل:

قال تعالى: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ﴾ (البقرة: ٢٣٣)، وقوله جل شأنه: ﴿وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ﴾ (لقمان: ١٤)، ثم جاءت آية سورة الأحقاف تجمع الحمل والرضاع بثلاثين شهرًا، قال تعالى: ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾ (الأحقاف: ١٥)، فإذا حذفنا مدة الإرضاع الكاملة، وهي حولان، أي: ٢٤ شهرًا من ثلاثين شهرًا، التي هي مدة الحمل والإرضاع معًا، فإنه يبقى ستة أشهر للحمل، وهي أقل مدة للحمل، يمكن للجنين أن يبقى حيًا إذا وُلد بتمامها.

ويأتي العلم ليقرر: أن أقل مدة الحمل، يمكن أن يبقى بعدها الجنين حيًا إذا ولد بتمامها، هي ستة أشهر؛ إذ إن الولادة قبلها تسمى (إسقاطًا)، والجنين في هذه المرحلة غير قابل للبقاء حيًا، وأما الولادة بعدها، وقبل تمام الحمل لتسعة أشهر، فإنها تسمى (خداجًا) أو ولادة مبكرة، والخداج قابل للبقاء حيًا، لكن الطب يوصي بعناية خاصة به، وهذه المدة هي المعتبرة قانونيًا في محاكم معظم الدول العالمية. (مجلة الشريعة – العدد ٣٥ ص٣٥: ص٣٦).

(١٨) أغشية الجنين:

ثبت علميًا أن الجنين في بطن أمة محاط بثلاثة أغشية، وهذه الأغشية تظهر بالعين المجردة كأنها غشاء واحد، وهذه الأغشية هي التي تسمى: ١. الغشاء المنباري ٢. الخوربون ٣. الفائضي. قال تعالى: ﴿يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ﴾ (الزمر:٦) (التبيان للصابوني ص ١٣١:١٣٢).

(١٩) نوع المولود:

أثبت علم الوراثة الحديث أن جنس المولود إنما يتحدد أساسًا من الحيوان المنوي، لا من البويضة، ويتفق ذلك مع سياق الآيات بشكل يؤكد إعجازها. قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى (٣٧) ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى (٣٨) فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى﴾ (القيامة: ٣٧- ٣٩)، ومن ناحية أخرى فإن ارتباط جنس المولود بحيوان معين من ضمن ملايين الحيوانات (٣٥٠ مليونًا في قذفة) يقطع باستحالة التنبؤ البشرى . فضلاً عن التحكم في جنس نطفة تحملها أنثى، مما يؤكد عجز العلم وإعجاز قدرة الله تعالى الذي خص نفسه بمعرفة ما تغيض الأرحام. (كشاف الإعجاز العلمي لنبيل هارون ص ٦٦:٦٧)

(٢٠) لكل إنسان رائحة خاصة:

أظهر الطب الشرعي الحديث أن لكل إنسان رائحة مميزة عن غيره من سائر البشر، تمامًا كبصمات الأصابع، ومن هنا تستخدم الكلاب البوليسية في تعقب المجرمين، وهذا يتفق تمامًا مع ما جاء في سورة يوسف من أن الله تعالى قد اختص نبيه يعقوب بهذه الكرامة. يقول الله تعالى: ﴿وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ﴾ (يوسف: ٩٤). (كشاف الإعجاز العلمي لنبيل هارون ص ٣١).

(٢١) لكل إنسان بصمات أصابع خاصة به:

أثبت العلم الحديث عدم تشابه بصمات إنسان مع بصمات إنسان آخر، ولذا فقد استخدم العلماء هذه البصمات في الكشف عن الجناة قال تعالى: ﴿بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ﴾ (القيامة:٤) (التبيان للصابوني ص ١٣٢:١٣٣).

و الحمد لله رب العالمين.

من روائع الماضي

لماذا التوحيد؟

الحلقة الثانية

للشيخ/ رشاد الشافعي، رحمه الله
الرئيس العام الأسبق لجماعة أنصار السنة المحمدية

بسم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله رب العالمين. وبعد:

الإيمان بالله الواحد الذي لا شريك له ولا ند له ولا ظهير له أمر فطري يمليه هذا النظام البديع والإبداع والإحكام الرائع في خلق السماوات والأرض، والذي يشير إليه القرآن الكريم، في كثير من آياته الكونية تنبيهًا للأذهان واستنهاضًا للعقول والاهتمام كيما تستقرئ صفحة الكون فتدرك في جمال الصنعة ودقتها عظمة الصانع وقدرة الخالق ووحدانية المالك في هذا المجال، يقول الله تعالى: ﴿وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ (البقرة:١٦٣)، ثم يتبع هذا التقرير بالتدليل على وحدانيته ورحمته بستة أشياء من نعمه من خلقه فيقول عز وجل:

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ (البقرة:١٦٤).

وعلى هذا النهج الحكيم أخذ القرآن الكريم في كثير من سوره يسوق الأدلة القاطعة والبراهين الساطعة التي تؤكد وحدانية الله وتظهر عظمته وتبين للناس قدرته ورحمته وجبروته وقهره وحكمته، وبلغ من كرم الله علينا ولطفه بنا أنه على الرغم من أنه الملك القدوس السلام، المؤمن المهيمن العزيز الجبار هو الذي يتعرف علينا تارة بآياته الكونية المنتشرة في ربوع القرآن الكريم، وأخرى بآياته البيانية كما يقول سبحانه وتعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ (٢) وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (٣) وَفِي الْأَرْضِ قِطَعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ﴾ (الرعد:٤)، كأن الآيات بعثت إليك بطائرات هبطت عليك ونزلت إليك لتأخذ منك عقلك وبصرك وفكرك وسمعك وتعلو بكل أولئك في أجواء الفضاء وتجوب بهم في عنان السماء لتريك من آيات ربك الكبرى ما يقوي إيمانك بالله وبأسمائه الحسنى، فلا تتخذ عباده من دونه أولياء فتكون من الهالكين، كما يقول الله سبحانه: ﴿أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِنْ دُونِي أَوْلِيَاءَ إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا﴾ (الكهف:١٠٢).

ثم تعود فتهبط بك إلى الأرض وتطوف بك في سبلها وفجاجها وتريك من جبالها وأنهارها وجناتها وما فيها من دوحات وزهور وحبوب وثمرات ثم تحدثك بعد ذلك عن قصة الدهر وحكاية الزمان وأنه ليل ونهار جعلها الله آيتين فمحا آية الليل وجعل آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلاً من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب وكل شيء فصلناه تفصيلاً.

والتوحيد أو بمعنى أوضح الإيمان بإله واحد أمر يحكيه ويؤكده هذا السلام الكوني الذي تستوحيه من صفحة الكون والذي يبدو في أروع صورة وأدق نظام ونظام محكم واحد دائم دائب، مما يستوجب أن يكون

المدبر واحدًا وأن يكون قهارًا وجبارًا وحكيمًا وعليمًا وأن يكون على كل شيء قدير.

فهذه الشمس التي تجري لمستقرها ذلك تقدير العزيز العليم، والقمر قدره منازل حتى عاد كالعرجون القديم، لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون.

والمجموعات الشمسية التي لا حصر لها والأجرام السماوية التي لا عد لها والمجرات وأحجامها وأبعادها والكواكب والنجوم والشهب والنيازك ونظامها ومساراتها وكل منها تدور في فلكها، فلا تخرج عن المسار الذي أعدت له وأعد لها حتى لا يحدث انفجار ولا يقع صدام ولا يختل النظام كل ذلك لا يكون إلا بقدر معلوم كما يقول رب العزة تبارك وتعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ (القمر:٤٩)، وكل ذلك يعلن بالحجة الدامغة والحكمة البالغة أن الله واحد لا شريك له وأنه كما يقول سبحانه: ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ (المؤمنون:٩١).

وكيف يتخذ صاحبة أو ولدًا وكيف يكون له شريك في الملك أو ولي من الذل؟

إذًا لاختل النظام واضطرب الكون ووقع الصدام بين الكواكب والأجرام، وتأخر النهار عن خروجه وأسرع الليل في دخوله وزاد اليوم إلى ثلاثين ساعة تارة أو أربعين طورًا آخر، ولخرجت الشمس يومًا من مشرقها وآخر من مغربها فتتداخل الشهور وتتأخر الفصول (فصول السنة)، ولا تعرف السنون ويتغير خلق الناس فيخلق واحد وله عينان ويخلق آخر وله ثلاثة أعين، وهكذا حسبما تقتضيه مشيئة الشريك في الملك أو الولد أو الولي من الذل حتى يبين للخلق سلطانه وشركته ويعلن ألوهيته، ولهذا يقول الله جل شأنه: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ (الأنبياء:٢٢).

وفصول السنة وترتيبها وأوقاتها وجوها ومناخها وما يترتب عليها من نضج الثمار وتفتح الأزهار ونمو النباتات المختلفة في طعومها وأشكالها وألوانها حتى لا يسأم الإنسان إذا لم تتعدد ألوان الطعام كما يحكي لنا القرآن الكريم عن بني إسرائيل في قول الله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ﴾ (البقر:٦١).

والأرض وفجاجها وسبلها ووديانها وأنهارها وبحارها ومناجمها وجبالها وصحرواتها وغاباتها ووحوشها وحيواناتها وأنعامها وجناتها وأنواع الحبوب فيها وأطيارها وأشجارها وأزهارها وأثمارها وتوزيع الثروة فيها بكل أنواعها وعدد سكانها وتوفير مآكلهم ومشاربهم ومعاشهم وغذائهم وكسائهم، والحكمة في تقسيمات الأرض ذاتها جبلية وصحراوية وزراعية وما بث في كل واحدة منها من الخيرات وما حباها به ربنا من البركات ولذلك يقول الله عز وجل: ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ (٩) وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ﴾ (فصلت:٩، ١٠).

وسنة التوالد في الأرض التي تتم دائمًا بشكل مطرد مع مصالح الإنسان والحبة من القمح لصغر حجمها وحاجة الناس إلى العديد منها تلد مئات الحبات، وكلما زادت حاجة الإنسان إلى شيء زاد التوالد فيه بما يكفي حاجته ويشبع رغبته تكريمًا له كما قال الله سبحانه: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ (الإسرا:٧٠).

وكذلك الحيوان والطير كلما صغر حجمه زاد نتاجه أو عدد فقسه، سنة الله ولن تجد لسنة الله تبديلاً.

والبحر وما فيه عن عجائب الخلق وغرائب المخلوقات والحيوانات البحرية وخطرها والمفيد منها والأسماك وأنواعها وما يؤكل منها وما لا يؤكل وأنثيات الثعابين من السمك وقصتها وحكاية فقسها وخروجها من بحار العالم في شهر معين وهو شهر سبتمبر من كل سنة متجهة إلى المكسيك كما يحدثنا السيرجون كريسي العالم الأمريكي ورئيس إحدى الأكاديميات في كتابه العلم يدعو للإيمان والذي ترجمه السيد الأستاذ مصطفى الفلكي سفير مصر في أمريكا سابقًا، جزاه الله خيرًا، فيقول: إن أنثيات الثعابين من السمك تخرج جميعًا في وقت معين من كل سنة من بحارها في أنحاء العالم متجهة شطر جنوب أمريكا تقطع آلاف الأميال فتخرج من بحر إلى بحر إلى المحيط حيث تبيض هناك ثم تموت ثم يعود فقسها موزعًا على بحار العالم من جديد بما يتفق ومصالح الناس كل ذلك لا يمكن أن يحدث بمحض الصدفة ولا هو عن عقل في هذه الأنثيات فكيف حددت موعد خروجها.

وكيف عرفت الطريق إلى مكانها وصولها.

وكيف قطعت آلاف الأميال في مواجهة الأمواج لا تبالي أن تلقى موتها ولا تنثني عن عزمها؟

كل ذلك يدل على وجود خالق عظيم ومدبر حكيم وهاد كريم هو الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى.

والتوحيد أو الإيمان بالله الواحد ضرورة حضارية للإنسانية الراقية.. وإلى اللقاء إن شاء الله.

تذكير الأحباب

بالأخذ بالأسباب

الحلقة الثانية

إعداد المستشار/ أحمد السيد علي

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد: بدأنا في العدد السابق التذكير بأمر الأسباب، وأنها من الشرع المأمور به، ونكمل فنقول وبالله تعالى التوفيق:

ثالثًا: عدم جواز الاعتقاد في الأسباب:

وذلك لأنه من المعلوم أن كون الشيء سببًا لغيره أو كونه مسببًا عن غيره، هو من فعل الله تعالى وحكمته، فهو تعالى خالق الأسباب والمسببات، ولولاه لما صار هذا الشيء سببًا لغيره ولا صار هذا الغير مسببًا عنه، ومعنى ذلك أن السبب إنما يعمل ويستدعي مسببه بموجب سنة الله ونفاذها.

فالسكين سبب للذبح والقطع، إلا أنها لا تؤدي إلى ذلك بذاتها، وإنما بأمر الله، فإذا شاء سبحانه أن يرتب السبب على النتيجة ترتب، وإذا شاء غير ذلك لم يؤد السبب إلى نتيجته، فهذا إبراهيم – عليه السلام – يضع السكين على رقبة إسماعيل – عليه السلام – ولا تؤدي إلى ذبحه لعدم إرادة الله ذلك.

والنار سبب للإحراق، ولكنها لا تؤثر بذاتها، وإنما إذا أراد الله لها ذلك، فإذا أراد لها غير ذلك لم تحرق: ﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾ (الأنبياء:٦٩).

والجماع سبب للإنجاب إلا أن الله – عز وجل – قد لا يرتب النتيجة على السبب فيجامع الزوج زوجته وهما سليمان صحيحان ليس بهما عيب ولا يحدث إنجاب؛ لقول الله تعالى: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ (٤٩) أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾ (الشورى: ٤٩، ٥٠)، فلا يجوز أن يقول الزوج: أنا متزوج منذ أكثر من خمس سنوات، وأنا وزوجتي صحيحان، فلماذا لم ننجب؟!

أ- الدليل على عدم جواز الاعتقاد في الأسباب:

١- عن زيد بن خالد الجهني رضي الله عنه قال: صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الصبح بالحديبية على إثر سماء كانت من الليل، فلما انصرف أقبل على الناس فقال: «هل تدرون ماذا قال ربكم؟» قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر، فأما من قال: مُطرنا بفضل الله ورحمته، فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب، وأما من قال: مُطرنا بنوء كذا وكذا، فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب». (متفق عليه).

قال ابن العثيمين رحمه الله: «صار كافرًا بالله؛ لأنه أنكر نعمة الله ونسبها إلى سبب لم يجعله الله سببًا، فتعلقت نفسه بهذا السبب، ونسي نعمة الله، وهذا الكفر لا يخرج من الملة، لأن المراد نسبة المطر إلى النوء على أنه سبب وليس إلى النوء على أنه فاعل». اهـ (القول المفيد على كتاب التوحيد: ٢ / ٣٠).

ثم قال رحمه الله: فنسبة المطر إلى النوء تنقسم إلى ثلاثة أقسام:

١- نسبة إيجاد، وهذه شرك أكبر.

٢- نسبة سبب، وهذه شرك أصغر.

٣- نسبة وقت، وهذه جائزة بأن يريد بقوله مُطرنا بنوء كذا، أي جاءنا المطر في هذا النوء، أي في وقته، ولهذا قال العلماء: يحرم أن يقول: مطرنا بنوء كذا، ويجوز مطرنا في نوء كذا، وفرقوا بينهما أن الباء للسببية وفي للظرفية. اهـ.

٢- قال ابن عباس في آية: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (البقرة: ٢٢)، الأنداد هو الشرك، أخفى من دبيب النمل على صفاة سوداء في ظلمة الليل، وهو أن تقول: والله، وحياتك يا فلان، وحياتي، وتقول: لولا كلب هذا لأتانا اللصوص، ولولا البط في الدار لأتى اللصوص. رواه ابن أبي حاتم.

فهذا عبدالله بن عباس رضي الله عنهما: يبين أن من الشرك أن يعتقد الإنسان أنه لولا الكلب والبط لسُرق البيت، فهذه أسباب قد يرتب عليها الله سبحانه وتعالى نتائج، وقد لا يرتب عليها شيئًا، فقد يسرق اللصوص البيت في وجود الكلب، فلا ينبح، وفي وجود البط فلا يحدث صوتًا يدل عليهم. فالحفيظ هو

الله، ولا حفيظ غيره: ﴿فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ (يوسف: ٦٤).

ب- شبهة والرد عليها:

قد يستدل البعض بقول النبي صلى الله عليه وسلم في عمه أبي طالب: «لولا أنا، لكان في الدرك الأسفل من النار». (متفق عليه)، على جواز الاعتقاد في الأسباب.

الرد على هذه الشبهة:

قال ابن عثيمين – رحمه الله – في شرحه لقول عون بن عبدالله في تفسيره لقوله تعالى: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَةَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ﴾ (النحل: ٨٣)، أنهم يقولون: «لولا فلان، لم يكن كذا». وهذا القول من قائله فيه تفصيل إن أراد به الخبر وكان الخبر صدقًا مطابقًا للواقع، فهذا لا بأس به، وإن أراد بها السبب فلذلك ثلاث حالات:

الأولى: أن يكون سببًا خفيًا لا تأثير له إطلاقًا كأن يقول: لولا الولي الفلاني ما حصل كذا وكذا، فهذا شرك أكبر؛ لأنه يعتقد بهذا القول أن لهذا الولي تصرفًا في الكون، مع أنه ميت، فهو تصرف سري خفي.

الثانية: أن يضيفه إلى سبب صحيح ثابت شرعًا أو حسًا، فهذا جائز بشرط ألا يعتقد أن السبب مؤثر بنفسه، وألا يتناسى المنعم بذلك.

الثالثة: أن يضيفه إلى سبب ظاهر، لكن لم يثبت كونه سببًا لا شرعًا ولا حسًا، فهذا نوع من الشرك الأصغر، وذلك مثل التولة، والقلائد التي يقال عنها: إنها تمنع العين، وما أشبه ذلك؛ لأنه أثبت سببًا لم يجعله الله سببًا، فكان مشاركة لله في إثبات الأسباب». اهـ (القول المفيد: ٢/ ٢٠٣).

فقول النبي صلى الله عليه وسلم: «لولا أنا». من قبيل إضافة الشيء إلى سببه الشرعي الحقيقي.

ومن ثم نعلم خطأ بعض الناس حينما يقول: لولا الشجر لمات الرجل الذي سقط من أعلى بيته عليها، ثم على الأرض، ولولا هذا الحجر أو الشجرة التي اصطدمت بها السيارة لسقطت السيارة في الترعة، وينسون أن الذي فعل ذلك هو الله، وليست هذه الأشياء إلا أسباب قد تؤدي إلى نتائجها، وقد لا تؤدي إلى شيء.

ومن ثم فيجب على كل مسلم أن يأخذ بالأسباب ويتوكل على العزيز الوهاب، ولا يترك الأخذ بها بادعاء التوكل، فهذا تواكل، ولا يعتقد فيها، فهذا شرك بالله عزَّ وجلَّ.

وللحديث بقية إن شاء الله.

من أخبار الجماعة
اجتماع مجلس إدارة المركز العام

اجتمع مجلس إدارة المركز العام للجماعة بعد اجتماع الجمعية العمومية في يوم الأحد الموافق ٢٠١١/٤/١٠م لتشكيل هيئة المكتب والإدارات، وقد تم تشكيله على النحو التالي:

١- الرئيس العام: د. عبد الله شاكر الجنيدي.

٢- نائب الرئيس العام: د. عبد العظيم بدوي الخلفي.

٣- الأمين العام: الشيخ / أحمد يوسف عبد المجيد.

٤- مدير إدارة الدعوة: الشيخ/ زكريا حسيني محمد.

٥- أمين الصندوق: الشيخ/ محمد عاطف التاجوري.

٦- مدير إدارة الأيتام والتكافل الاجتماعي: الشيخ/ معاوية محمد هيكل.

٧- مدير إدارة العلاقات العامة: الشيخ/ أبو العطا عبد القادر محمود.

٨- مدير إدارة المشروعات: الشيخ/ أسامة علي سليمان.

٩- مدير إدارة المكتبات والوثائق: الشيخ/ حسن عبد الوهاب البنا.

١٠- مدير إدارة التخطيط والمتابعة: د/ أيمن خليل.

١١- مدير إدارة البحث العلمي: الشيخ/ علي إبراهيم حشيش.

١٢- مدير إدارة التراث: الشيخ فتحي أمين عثمان.

١٣- مدير إدارة شئون القرآن: الشيخ/ حذيفة محمد رزق ساطور.

١٤- مدير إدارة التعليم والمعاهد: الشيخ/ جمال عبد الرحمن.

١٥- مدير إدارة الفروع: الشيخ/ محمد رزق ساطور.

والله ولي التوفيق.

إشهار

تم بحمد الله تعالى إشهار الفروع التالية:

١- جماعة أنصار السنة المحمدية، فرع الرحمانية، محافظة البحيرة، بتاريخ ٢٠١١/٤/١٢م تحت رقم قيد (١٤٧٢).

٢- فرع أنصار السنة المحمدية، فرع منيا القمح، محافظة الشرقية، بتاريخ ٢٠١١/٤/٥م تحت رقم (٢٠٧٩).

وذلك طبقًا للقانون رقم (٨٤) لسنة ٢٠٠٢م بشأن الجمعيات والمؤسسات الاجتماعية.

جماعة أنصار السنة المحمدية

تأسست عام ١٣٤٥ هـ - ١٩٢٦ م

ومن أهدافها

١ الدعوة إلى التوحيد الخالص المطهر من جميع الشوائب. وإلى حب الله تعالى حبًّا صحيحًا صادقًا يتمثل في طاعته وتقواه، وحب رسول الله صلى الله عليه وسلم حبًّا صحيحًا صادقًا يتمثل في الاقتداء به واتخاذه أسوة حسنة.

٢ الدعوة إلى أخذ الدين من نبعيه الصافيين : القرآن والسنة الصحيحة، ومجانبة البدع والخرافات ومحدثات الأمور.

٣ الدعوة إلى ربط الدنيا بالدين بأوثق رباط: عقيدةً وعملاً وخُلقًا

٤ الدعوة إلى إقامة المجتمع المسلم، والحكم بما أنزل الله ، فكل مشرِّع غيره - فيما لم يأذن به الله تعالى - معتدٍ عليه سبحانه، منازِع إياه في حقوقه.